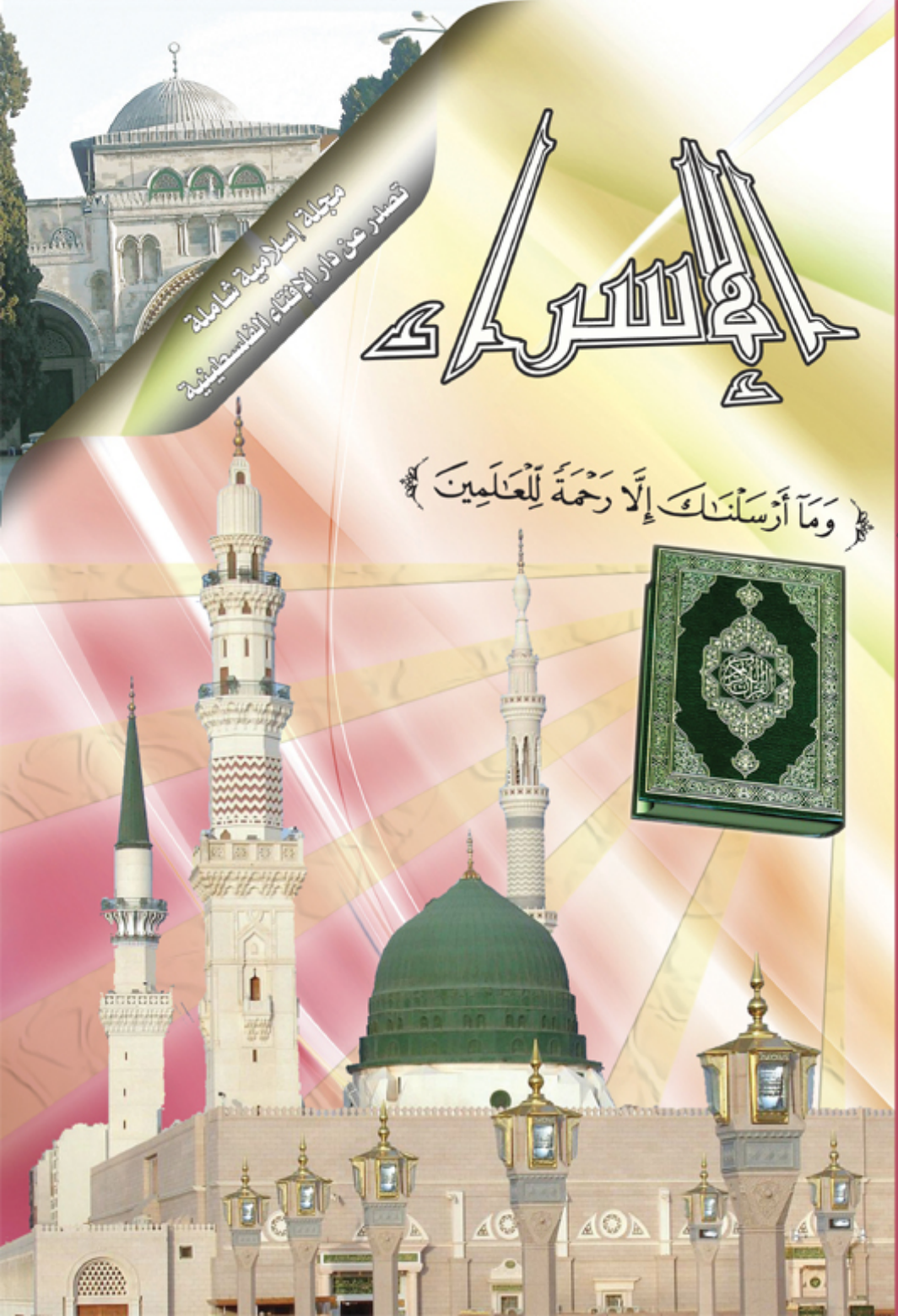
الإسراء
مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن دار الإفتاء الفلسطينية
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾
العدد مائة وواحد 101 ربيع الأول وربيع الثاني 1433 هـ - شباط وآذار 2012 م

هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية ـ القدس

العدد 101 ربيع الأول وربيع الثاني 1433 هـ ـ شباط وآذار 2012م

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

المشرف العام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

سكرتير التحرير

أ. عطا الله عبد الله فلاحين

هيئة التحرير

د. إسماعيل نواهضة

أ. د. حسن السلوادي

د. حمزة ذيب

د. سعيد القيق

د. شفيق عياش

تصميم ومونتاج : يوسف تيسير محمود

المراسلات: مجلة الإسراء ، مديرية العلاقات العامة والإعلام ، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 ـ القدس / ص.ب : 1862 رام الله ـ تلفاكس : 6262495 ـ 02 / 2348603 ـ 02

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.org للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.org

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

فهرس العدد

افتتاحية العدد

إذا المساجد سئلت بأي ذنب أحرقت ؟!!	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

الثقة بين الراعي والرعية	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	16

المولد النبوي الشريف

مع صاحب الخلق العظيم وشمائله الحميد ة	د. شفيق موسى عياش	21
لماذا نحب المصطفى صلى الله عليه وسلم؟	د.خالد محمود شريتح	26
في ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم	الشيخ حسن أحمد جابر	31
الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، قدوتنا	الشيخ محمد سعيد صلاح	35
من إرهاصات نبوته صلى الله عليه وسلم	د. الشيخ ياسر حماد	40
في ذكرى مولد الرسول الهادي	أ. محمود حافظ إسماعيل	45

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين	48

إيمانيات

الأوراد في حياة الصالحين	الشيخ عمار بدوي	52
القرآن في رعاية الرحمن !!	أ. ياسين السعدي	58

قراءات تربوية

طوبى لمعلمي الناس الخير !!	أ. كمال بواطنه	64
في اللغة العربية صعوبات التعلم الناتجة عن الإعاقة السمعية	أ. يوسف عدوي	68

مواقف وعلاقات

نظرة الإسلام إلى الآخر في مناهج كليات الشريعة والدراسات الإسلامية	د. سعيد القيق	76
هجرة المسيحيين تقلق المسلمين وتشكل خسارة كبيرة للشرق الأوسط	د. حنا عيسى	88

نشاطات ...

مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء	الأستاذ مصطفى أعرج	94
مسابقة العدد 101	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 99	أسرة التحرير	111

افتتاحية العدد

إذا المساجد سئلت بأي ذنب أحرقت؟!!

الشيخ / محمد أحمد حسين ـ المشرف العام

تتعرض المساجد في فلسطين لحملة مسعورة من محاولات حرقها وهدمها واقتلاعها من جذورها والمس بقدسيتها، فلم تقف تلك المحاولات العابثة بأمن بيوت الله على ما حصل للمسجد الأقصى عام 1969م، حين أشعل الحاقدون النار فيه، فأحرقوا جزءاً كبيراً منه، شمل منبره ومحرابه، وبعض جدرانه وموجوداته، بل استمر مسلسل الاعتداء الآثم على المساجد، وتسارعت وتيرته في الأيام الأخيرة، فداهم متطرفون من أعداء الله مساجد عديدة في غسق الليل وظلمته، ولم يغادروا أماكن اعتداءاتهم إلا تركوا فيها بصماتهم وتوقيعهم الدال عليهم، متخذين من مقولة (فاتورة تدفيع الثمن) شعاراً لحملتهم المسعورة والآثمة، والله تعالى يتوعد هؤلاء وأمثالهم من العابثين في أمن المساجد، ومحاولي تدنيس قداستها، فيقول تعالى:

دخان يتصاعد من جهة قبة المسجد الأقصى المبارك على إثر الحريق الذي شب فيه بفعل اليد الآثمة التي امتدت لإحراقه عام 1969م
ويظهر في الصورة مواطنون هبوا لإخماد النار وإطفاء الحريق

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.(1)

فالذين يسعون في خراب المساجد ينتظرهم وبال عظيم جزاء إثمهم الكبير الذي اقترفوه بسعيهم في حرق المساجد وخرابها، وهم حقاً لم يدخلوها إلا خلسة في دلس الليل مما يدل على خوفهم وجبنهم، فخسئوا وخابوا، والخزي والعار لهم في الدنيا والآخرة، وإن من خزيهم أن يوبخهم الله حين يسأل المساجد عن شنيع إجرامهم فيها؟! يوم تشخص القلوب والأبصار بين يدي العزيز الجبار القهار، يقول تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ}.(2)

فالذين يسمحون لأيديهم أن تمتد بالأذى لبيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يخطئون حين يظنون أنهم يحاربون أشخاص المسلمين الذين يعبدون الله في المساجد، لأنهم بشنيع إجرامهم إنما يحاربون الله ويعادونه بحربهم أولياءه. والرسول، صلى الله عليه وسلم، يخبر عن ولاية الله لعباده في المساجد، فيقول: (من صلى صَلاةَ الصُّبْحِ، فَهُوَ في ذِمَّةِ اللَّهِ، فلا يَطْلُبَنَّكُمْ الله من ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فإنه من يَطْلُبْهُ من ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبَّهُ على وَجْهِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ)(3)، ويتوعد الله من يعادي أولياءه، ففي الحديث القدسي الصحيح عن رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، (إِنَّ اللَّهَ قال: من عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)(4)، وشتان بين من كان الله وليه، وبين من يتوعده الله بالحرب والخزي والعذاب العظيم.

فالويل للذي يعلن الحرب على الله، من حساب عسير فتحه على نفسه، حيث الهلاك الوخيم، والخزي في الدنيا والآخرة، والله تعالى يتوعد محاربيه، فيقول سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.(5)

والذين يستبيحون حرمة المساجد، ويعتدون عليها، هم مجرمون حقاً، والله يتوعد المجرمين بنار جهنم وبئس المصير، فيقول تعالى: {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً}(6)،{وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ}(7)،{يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ}(8)، فلينتظر العابثون بأمن المساجد يوماً أسود، حين ينتقم الله ممن انتهك حرمة بيوته، ودنس طهرها، وإنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً، ولكن أكثر الظالمين لا يعلمون، فليضحكوا قليلاً، وسيبكون كثيراً، إن شاء الله، {... إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ* فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ* مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}.(9)

آثار حرق مسجد بلدة المغير الكبير شمال شرق رام الله فجر يوم الثلاثاء 2011/06/07م

جذور الحرب المسعورة على المساجد:

تأتي الحرب المعاصرة على المساجد امتداداً للحرب التي شنها أرباب الجهل والطاغوت على بيت الله العتيق، بصدهم أهل الذكر والتوحيد عنه، فقال تعالى: {وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}(10)، فالقرآن الكريم يذكر الصد الأزلي عن

المساجد والاعتداء عليها وعلى روادها، منبهاً إلى عقوبة هذا الإجرام بحق بيوت الله التي أقيمت في الأرض لعبادته سبحانه، وجاء هذا التنبيه في مواضع قرآنية أخرى، منها قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(11)، ومنها قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}.(12)

فهي حرب بين طرفين، أحدهما الظالمون، وثانيهما الله وأولياؤه، وهي بلا شك حرب غير متكافئة، فأين قوة الخلق من قدرة الله وبطشه؟!

توثيق الصلة بين المسلمين ومساجدهم:

في ظل الهجمة الشرسة التي تشن على المساجد من طرف الحاقدين الطاغين، يجدر استذكار ما يمكن عمله من قبل المسلمين لحماية مساجدهم ورعايتها، والإعلان عن توثيق الصلة بها، ويشمل ذلك الحث على عمارتها عمرانياً وتعبدياً، وتعلقاً بها، ومدارسة العلم والقرآن فيها، وتكثيف التواجد فيها، وإطالة المكث، وشد الرحال إلى أمهاتها.

فالمساجد أحب البلاد إلى الله، كما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (أَحَبُّ الْبِلادِ إلى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلادِ إلى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا).(13)

فالرسول، صلى الله عليه وسلم، يشير في هذا الحديث الشريف إلى مكانة المساجد

عند الله تعالى، فهي أحب البلاد إليه، وهي بيوته في الأرض، التي أذن بها أن ترفع ويذكر فيها اسمه، مصداقاً لقوله تعالى في محكم التنزيل: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ}.(14)

والمساجد تبنى لعبادة الله، فينبغي الحرص على ذكره سبحانه فيها دون سواه من الأرباب، استجابة لقوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً}.(15)

ومعلوم أن أول المساجد التي أقيمت في ربوع الدنيا هو المسجد الحرام في مكة المكرمة، ثم تلاه المسجد الأقصى المبارك في القدس، ثم كانت مساجد الله الأخرى في الأرض منارات للذكر والعبادة، وهي من أبرز الدلالات على إسلامية الأرض التي تقام عليها، ومن علامات وجود المسلمين فيها، فعن أَبي ذَرٍّ، رضي الله عنه، قال: (قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأرض أَوَّلَ؟! قال: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قال: قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: الْمَسْجِدُ الأَقْصَى؟ قلت: كَمْ كان بَيْنَهُمَا؟ قال: أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ بَعْدُ، فَصَلِّهْ، فإن الْفَضْلَ فيه)(16).

فضل العمارة المادية للمساجد:

لقد خص الله المؤمنين بإعمار المساجد، فقال تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ}.(17)

وجاء هذا التخصيص والإفراد للمؤمنين بعمارة المساجد، تبعاً لحجبها ومنعها عن الحاقدين الكافرين، الذين ليس لهم نصيب من عمارة المساجد؛ لأنهم خسروا أعمالهم وأوردوا أنفسهم الهلاك، فقال تعالى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}.(18)

مسجد الشيخ زايد - أبو ظبي - الإمارات

ومن أنواع العمارة التي يؤديها المؤمنون للمساجد، العمارة المادية والعمرانية، ففي فضل بناء المساجد يروي عُثْمَان بن عَفَّانَ، أنه سمع النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (من بَنَى مَسْجِدًا، قال بُكَيْرٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قال: يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، بَنَى الله له مثله في الْجَنَّةِ).(19)

وورد في الحديث الصحيح التنبيه إلى فضل العناية بتنظيف المساجد، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه: (أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كانت تَقُمُّ الْمَسْجِدَ أو شَابًّا، فَفَقَدَهَا رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلَ عنها أو عنه، فَقَالُوا: مَاتَ، قال: أَفَلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟! قال: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا أو أَمْرَهُ، فقال: دُلُّونِي على قَبْرِهِ، فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عليها، ثُمَّ قال: إِنَّ هذه الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً على أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عز وجل يُنَوِّرُهَا لهم بِصَلاتِي عليهم).(20)

فالرسول، صلى الله عليه وسلم، ينبه في هذا الموقف النبوي إلى شكل من أشكال فضل العناية بالمساجد وصيانتها والمحافظة على نظافتها، حيث فقد الرسول، صلى الله عليه وسلم، امرأة سوداء، عرفت بحرصها على تنظيف المسجد، فكانت تَقُم المسجد بقاف مضمومة، أي تجمع القمامة وهي الكناسة، وفي بعض طرق الحديث أن تلك المرأة كانت تلتقط الخرق والعيدان من المسجد، فلما فقدها صلى الله عليه وسلم سأل عنها، فقيل له إنها ماتت، فأبدى عتبه ولومه؛ لأنهم لم يخبروه بموتها؛ حتى يصلي عليها،

ويشيعها، ويدعو لها، ويبدو أنه سمع رداً لم يرق له سماعه، حيث عبروا عن رأيهم في مقام تلك المرأة البسيطة، ولم يكونوا يرون في موتها أهمية لإخبار الرسول، صلى الله عليه وسلم، عنه، لمقامها البسيط في نظرهم، وحسب تصورهم، غير أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، أكد رفعة مكانها ومنزلتها؛ لما كانت تقوم به من عناية لبيت الله وخدمته، فسأل عن قبرها، فدلوه عليه، فذهب وصلى عليها وهي فيه، وبيّن للصحابة والمسلمين من بعدهم أهمية صلاته على أي من المسلمين أو دعوته له، في إشارة واضحة للوسام الرفيع الذي أصر صلى الله عليه وسلم على منحه لتلك المرأة خادمة المسجد، ويذكر ابن حجر العسقلاني أن هذا الحديث يبين فضل تنظيف المسجد والترغيب فيه، والسؤال عن الخادم والصديق إذا غاب، وفيه المكافأة بالدعاء، والترغيب في شهود جنائز أهل الخير، وندب الصلاة على الميت الحاضر عند قبره لمن لم يصل عليه، والإعلام بالموت.(21)

فضل عمارة المساجد بالعبادة ومدارسة العلم:

إن من أبرز أنواع الإعمار التي يؤديها المؤمن للمساجد، قيامه بعبادة الله فيها؛ صلاةً وقياماً واعتكافاً وتدارساً للقرآن والعلم، وفي فضل ذلك، يروي أبو هُرَيْرَةَ، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (من غَدَا إلى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ الله له نُزُلَهُ من الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أو رَاحَ).(22)

مسلمون يتابعون درساً دينياً في المسجد

وورد التشجيع على أداء صلاة جماعة في المساجد، في أحاديث ومناسبات عديدة وأحوال كثيرة، منها ما جاء في بيان فضل صلاة الجماعة، فعن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (صَلاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً).(23)

وفي رواية أخرى يقول أبو هُرَيْرَةَ: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (صَلاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ على صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وفي سُوقِهِ خمسة وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إذا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إلى الْمَسْجِدِ لا يُخْرِجُهُ إلا الصَّلاةُ، لم يَخْطُ خَطْوَةً إلا رُفِعَتْ له بها دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عنه بها خَطِيئَةٌ، فإذا صلى؛ لم تَزَلْ الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عليه ما دَامَ فِي مُصَلاهُ، اللهم صَلِّ عليه، اللهم ارْحَمْهُ، ولا يَزَالُ أحدكم في صَلاةٍ ما انْتَظَرَ الصَّلاةَ).(24)

وفي التشجيع على المسارعة لأداء الصلاة جماعة، والسبق إلى الصف الأول فيها، يروى عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (... لو يَعْلَمُ الناس ما في النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لم يَجِدُوا إلا أَنْ يَسْتَهِمُوا، لاسْتَهَمُوا عليه، وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما في التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إليه، وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما في الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا).(25)

وعن عبد اللَّهِ، قال: (من سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ على هَؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ، حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فإن اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ، صلى الله عليه وسلم، سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ من سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ في بُيُوتِكُمْ كما يُصَلِّي هذا الْمُتَخَلِّفُ في بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وما من رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إلى مَسْجِدٍ من هذه الْمَسَاجِدِ ،إلا كَتَبَ الله له بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بها دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عنه بها سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا، وما يَتَخَلَّفُ عنها إلا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كان الرَّجُلُ يؤتي بِهِ يُهَادَى بين الرَّجُلَيْنِ حتى يُقَامَ في الصَّفِّ).(26)

وفي فضل عمارة المساجد بالذكر وتدارس العلم؛ يقول الرسول، صلى الله عليه وسلم: (... وما اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ من بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ،

إلا نَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لم يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ).(27)

ويوجه الرسول، صلى الله عليه وسلم، المسلمين إلى الحرص على أن تتعلق قلوبهم في المساجد ليكونوا من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فعن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله في ظِلِّهِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ؛ الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، اجْتَمَعَا عليه، وَتَفَرَّقَا عليه، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فقال: إني أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى، حتى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ).(28)

شد الرحال إلى أمهات المساجد:

وإذا كان فضل عمارة مطلق المساجد عظيماً، فإنها للمساجد التي تشد إليها الرحال أعظم، وتلك المساجد محددة في الحديث الذي يرويه أبو هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ؛ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ، صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى).(29)

وفي تمييز المساجد التي تشد إليها الرحال بالفضل ومزيد الأجر والثواب لمن يأتيها ويصلي فيها، ما روي عن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ النبي، صلى

الله عليه وسلم، قال: (صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هذا خَيْرٌ من أَلْفِ صَلاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إلا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ).(30)

وقد ربط الله تعالى مسجده الأقصى بمسجده الحرام في رباط عقائدي تمثل قي كون الأقصى قبلة المسلمين الأولى، والمسجد الحرام مستقر القبلة، وأنه سبحانه أسرى بعبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، في رحلة الإسراء العظيمة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وثبت خبر هذه الآية العظيمة في القرآن الكريم الذي يتعبد المسلمون بتلاوته، والإيمان به والعمل بمقتضاه، فقال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}.(31)

حماية الكنائس والصوامع:

وفي هذا المقام يجدر التذكير بموقف الإسلام من حماية دور عبادة غير المسلمين، حيث قرن الله تعالى حمايتها بحماية المساجد، وأوجب الإسلام حماية دور العبادة ومنع الاعتداء عليها، وجعل تلك الحماية من أبرز غايات الجهاد في الإسلام وأسماها، فقال تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}(32)، فهل يعقل أناس القرن الحادي والعشرين قيم الإسلام، ويقدرون درجات السمو الحضاري التي بلغها في احترام المغايرين والمخالفين، وحفظ حقوقهم، واحترام حرياتهم، وحماية دور عبادتهم.

فبإعمار المساجد، والإصرار على بنائها وصيانتها والتواصل اليومي معها صباحاً وغداة ومساءً وعشاءً واعتكافاً بالليل والنهار، يكون ردنا قوياً ومدوياً منذراً المعتدين عليها، وفيه كذلك وقاية لها بما نستطيع من إمكانات لحمايتها، مع ثقتنا وإيماننا بأن للمساجد ربًّاً يحميها.

أعاذنا الله من شر المجرمين ما ظهر منه وما بطن، وحمى الله مساجدنا من كيدهم وعبثهم، وهدانا الله لنكون من حماة مساجده وعُمّارها، وصلى الله وسلم على رسوله محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش

1. البقرة: 114.
2. إبراهيم: 42.
3. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة.
4. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.
5. المائدة: 33.
6. الكهف:53.
7. يس:59.
8. الرحمن:41.
9. هود: 81 – 83.
10. الأنفال: 34.

11. البقرة: 217.

12. الحج: 25.

13. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد.

14. النور: 36 - 37.

15. الجن: 18.

16. صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى:{ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب}.

17. التوبة: 18.

18. التوبة: 17.

19. صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب من بنى مسجداً.

20. صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر.

21. فتح الباري، ج1، ص553.

22. صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب فضل من غدا إلى المسجد وراح.

23. صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب وجوب صلاة الجماعة.

24. صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب وجوب صلاة الجماعة.

25. صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان.

26. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى.

27. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

28. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين.

29. صحيح البخاري، كتاب أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.

30. صحيح البخاري، كتاب أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.

31. الإسراء:1.

32. الحج: 40.

كلمة العدد

الثقة بين الراعي والرعية في ضوء قيم الإسلام والواقع الرشيد

الشيخ / إبراهيم خليل عوض الله ـ رئيس التحرير

دعا الإسلام المسلمين إلى تنظيم شؤون حياتهم وفق أحكامه وقيمه، على درب عبادتهم المطلقة لله، ورضاهم بحكمه في منشطهم ومكرههم، وفي عسرهم ويسرهم، وقد حذرهم سبحانه وتعالى من رفض العمل بحكمه، فقال تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}(1)، فلا مناص للمؤمن من التقيد التام بحكم الله في كل شأنه، حتى في خصوصيات حياته، لقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً}.(2)

وينضوي تحت لواء تنظيم حياة المسلمين وفق شرع الله وحكمه، أن يؤدي المسؤول حق الله في نصح رعيته وحكمهم بالنزاهة والإنصاف، من منطلق حقهم عليه، وواجبه تجاههم، والرسول، صلى الله عليه وسلم، ينبه إلى هذا الواجب، فعن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ، رضي الله عنهما، أَنَّهُ سمع رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يقول: (كُلُّكُمْ رَاعٍ ومسؤول عن رَعِيَّتِهِ؛ فَالإِمَامُ رَاعٍ وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ في أَهْلِهِ رَاعٍ وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مسؤولة عن رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ في مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ

وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ، قال: فَسَمِعْتُ هَؤُلاءِ من رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، وَأَحْسِبُ النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: وَالرَّجُلُ في مَالِ أبيه رَاعٍ وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ).(3)

ويحذر الرسول، صلى الله عليه وسلم، المسؤول من ممارسة أي شكل من أشكال الغش لرعيته على أي صعيد، فيقول: (ما من عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً، يَمُوتُ يوم يَمُوتُ، وهو غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلا حَرَّمَ الله عليه الْجَنَّةَ).(4)

وعلى صعيد الرعية، فإن من أهم واجباتها نحو المسؤول عنها أن تذعن له بالطاعة ما دام يسوسها بغير معصية لخالقها، وقد أمر الله بطاعة أولياء الأمور في سياق الأمر بطاعته سبحانه وطاعة رسوله، صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}.(5)

كما أن من واجبات الرعية نحو المسؤول عنها أن تقدم له النصح المخلص والصادق، فعن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قال: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ ولائمة الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ).(6)

فإذا ما تحقق من المسؤول والرعية حسن التوجه للأخذ بحكم الله والعمل بموجبه، وانطلق المسؤول مما أنيط به من واجب النصح والرعاية والإنصاف لرعيته، وانطلقت الرعية من استشعار وجوب نصح المسؤول وطاعته في غير معصية الله، فإن الطرفين سيلتقيان على صعيد تقاسم الحقوق والسعي إلى تحقيق المصالح العليا لدينهم وأمتهم وأشخاصهم وذراريهم، وحينذاك يمكن للثقة أن توجد بينهما وتتعزز، وسينطق لسان

حال المسؤول ومقاله مردداً: (روحي فداك رعيتي)، وستنطلق حناجر أفراد الرعية وأعمالهم معبرة عن استعدادها الصادق لفداء راعيها بالمهج والأرواح، ليس على طريقة أهل الرياء والنفاق، وإنما على نهج الذين صدقوا الله في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم، ممن قال الله فيهم: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}.(7)

فالإسلام بأحكامه وقيمه يزرع الثقة بين الراعي والرعية، ويعزز بقاءها، لتثمر خيراً يعمهما، فيعيش الراعي بين رعيته آمناً إلا من غادر حاقد خائن، ومن خير الشواهد على تمتع الراعي بالأمن بين رعيته في ظل الواقع الرشيد للوجود الإسلامي، ما استنتجه الفارسي الذي شاهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نائماً، فيروى أن رسولاً لكسرى جاء إلى المدينة لمقابلة خليفة المسلمين عمر بن الخطاب، فسأل عن قصره المنيف، أو حصنه المنيع، فدلّوه على بيته، فرأى ما هو أدنى من بيوت الفقراء، ووجده نائماً في ملابس بسيطة تحت ظل شجرة قريبة، فقال مقولته الشهيرة: (حكمت، فعدلت، فأمنت، فنمت يا عمر).

وفي هذه القصة قال الشاعر حافظ ابراهيم:

وَراعَ[1] صاحِبَ كِسْرى أنْ رَأَى(عُمَراً) بَيْنَ الرَّعِيَّةِ عُطْلاً[2] وهوَ راعِيها

وعَهدُهُ بِمُلوكِ الفُرسِ أنَّ لهـا سُوراً مِن الجُنْدِ والأحراسِ يَحمِيها

رآهُ مُستَغْرِقاً في نَومِهِ فَرأى فيه الجَلالَة في أَسْمَى مَعانِيها

(1) أذهل.

(2) الدوح: الشجرة الكبيرة.

فوقَ الثَّرى تَحت ظِلِّ الدَّوْحِ[1] مُشْتَمِلاً ... بِبُردَةٍ[2] كـادَ طُولُ العَهْدِ يُبلِيها

فهـــانَ في عَيْنِهِ مـــا كـــان يُـكبِرُهُ ... مِنَ الأكـــاسِرِ والدُّنيا بأيْدِيها

وقـــال قولـــةَ حَقٍّ أصبحت مَثـــلاً ... وأصبحَ الجيلُ بعدَ الجيلِ يَرويها

أَمِنتَ لمـــّا أَقَـــمْتَ العَـدْلَ بَيْنَهُمُ ... فَنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ العَيْنِ هانِيـــها (8)

وفي ظل ثمار الخير اليافع الذي تثمره الثقة التي يزرعها الإسلام بين الراعي والرعية، فإن الرعية تقف خلف راعيها في الشدائد والمحن، وتنافح عنه بأموالها وأبدانها، كما نافح الصحابة الكرام عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، بصفته نبيهم وقائدهم وراعيهم، ومن شواهد هذه المنافحة النابعة من الحب والثقة، ما حصل من سعد بن أبي وقاص، وفق الخبر الذي ترويه عَائِشَةَ، حيث قالت، رضي الله عنها: (سَهِرَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ لَيْلَةً، فقال: لَيْتَ رَجُلاً صَالِحاً من أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ، قالت: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ، سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلاحٍ، فقال: من هذا؟ قال: سَعْدُ بن أبي وَقَّاصٍ، فقال له رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: ما جاء بِكَ؟ قال: وَقَعَ في نَفْسِي خَوْفٌ على رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ، فَدَعَا له رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ نَامَ).(9)

فالثقة التي يريدها الإسلام أن تكون بين الراعي والرعية هي الثقة المثمرة، التي تنبع من معين الحب والصدق والإيمان، حيث الحقوق واضحة، وكذلك الواجبات، لكل من الراعي والرعية تجاه بعضهما، فلا مسوغ للكره ولا الغدر، ولا البطش ولا القهر، ما دامت الثقة في عافية، وفي منأى عن الأزمات التي تولد الضغائن والأحقاد، التي تنشأ من

(1) عطلاً: في حالة بسيطة كعامة الناس.

(2) بردة: مرتدياً عباءته.

كبت الحريات، وقهر الرعية، أو طمعها وحسدها لموقع المسؤول ومكانته، وهو يقوم بما أنيط به من تكليف، بعيداً عن الزهو بشرف، الله سائله عنه، الله أعلم بخطورة عواقبه، ففي الحديث الصحيح عن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ على الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يوم الْقِيَامَةِ، فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ، وَبِئْسَتْ الْفَاطِمَةُ). (10)

هدانا الله للعمل بكتابه وسنة نبيه، صلى الله عليه وسلم، في علاقاتنا، رعية ومسؤولين، لنكون كما أراد الله لنا، رحماء بيننا، كالجسد الواحد، ووفق ما قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ في تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إذا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى له سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى). (11)

الهوامش

1. النساء: 65.
2. الأحزاب: 36.
3. صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن.
4. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار.
5. النساء: 59.
6. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.
7. الأحزاب: 23.
8. ديوان حافظ، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد أمين وآخرون، ط. دار العودة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1/ 90.
9. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رضي الله عنهم، باب في فضل سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه.
10. صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة.
11. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.

مع صاحب الخلق العظيم وشمائله الحميدة

الدكتور شفيق موسى عياش / جامعة القدس

شهد الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم برفعة الخُلق النبيل، فقال سبحانه وتعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(1)، وسئلت أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، عن خلقه، صلى الله عليه وسلم، فقالت: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)(2)، وهذا وصف بليغ لخلقه، صلى الله عليه وسلم، حيث كان يجسد في أقواله وأفعاله كل القيم والفضائل الأخلاقية الكريمة التي أودعها الله سبحانه في كتابه الكريم.

وقد تعددت الأحاديث الشريفة التي أمر فيها الرسول، صلى الله عليه وسلم، بحسن الخلق، وجعله صفة للمؤمن الصادق، فقال: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)(3)، وقال أيضا: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمَ اللَّيْلِ صَائِمَ النَّهَارِ) (4).

وأهمية الخلق الرفيع لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، لا تقتصر على شخصه الكريم، وإنما هذا الخلق هو تعليم لأبناء الأمة الإسلامية للتأسي به، حيث يتعين على المسلمين كافة الالتزام بالأخلاق الحميدة، إعمالاً لقول الله سبحانه وتعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}(5).

ومن القيم الإسلامية التي أرساها الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، في المجتمع الإسلامي نعرض قطرات من بحار قيمه وفضائله وشمائله، وشذرات من هديه وهداه، صلى الله عليه وسلم، للاقتداء والتأسي به.

فإذا تناولنا القيم الأخلاقية الشخصية، وجدنا دور الرسول، صلى الله عليه وسلم، في إبرازها وتعليمها للمسلمين دوراً رائداً كبيراً.

لقد كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، متصفاً بالرفق والحلم، فعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتِ: (اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ؛ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ، قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ: قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ)(6)، وقال: (إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ)(7)، وقد كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم يعفو عمن أساء إليه، وكان آية في امتلاك نفسه عند الغضب.

وقد كان، صلى الله عليه وسلم، شديد التواضع، فقال: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلا رَفَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ)(8)، ونهى، صلى الله عليه وسلم، عن التكبر، فقال: (لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)(9).

وقد كان، صلى الله عليه وسلم، في أحاديثه وكلامه من أفصح الخلق حديثاً، وأعذبهم كلاماً، وأصدقهم منطقاً، حتى إن كلامه ليأخذ بمجامع القلوب، ويأسر النفوس، وكان يتكلم كلاماً مفصلاً، يعده العاد عداً، ليس سرداً يتكرر، ولا متقطعاً تتخلله السكتات، فينسي بعضه بعضاً.

قالت السيدة عائشة، رضي الله عنها: (مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ يُبَيِّنُهُ، فَصْلٌ، يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ)(10)، وكان طويل الصمت، لا يتكلم في غير حاجة، ولا يتحدث فيما لا يعنيه، وقد أعطي جوامع الكلم؛ أي الكلام اليسير ذو المعنى الكثير.

فأما هديه، صلى الله عليه وسلم، في طعامه، فقد كان لا يرد موجوداً، ولا يتكلف

مفقوداً، فما قدم إليه من الطعام شيء إلا قبله؛ إن اشتهاه أكله، وإلا تركه، وما عاب طعاماً قط، ما لم يكن إثماً، أو فيه شبهة.

أما القيم الأخلاقية التي أرساها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في نطاق العلاقات العائلية، فقد كانت الركيزة للأسرة المسلمة، فقد أمر الزوج بأن يحسن عشرته لزوجته، فقال: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ)(11)، وقال: (الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ)(12).

وأمر الزوجة أن تطيع زوجها وتحترمه، وتحفظ عهده، فقال: (لَوْ كُنْتُ آمِراً أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ؛ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا)(13)، وأمر الرسول، صلى الله عليه وسلم، الآباء بالإنفاق على أبنائهم، والقيام على تسيير شؤونهم، فقال: (أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى عِيَالِهِ، ثُمَّ عَلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)(14).

وأمر الرسول، صلى الله عليه وسلم، ببر الوالدين، فقد سئل صلى الله عليه وسلم: (أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي) (15).

أما القيم الأخلاقية التي أرساها الرسول، صلى الله عليه وسلم، في نطاق المجتمع الإسلامي فهي عديدة، وهذه القيم الحميدة هي أساس التنظيم الإسلامي للعلاقات الاجتماعية كافة، والتي أذكر بعضاً منها: فقد نهى النبي، صلى الله عليه وسلم، الناس عن أن يؤذي بعضهم بعضاً، فقال: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ)(16)، وقال: (اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ) (17).

وحرص على إرساء قيمة الوفاء بالوعد واحترام العهد، فقال: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) (18).

وأبرز الرسول، صلى الله عليه وسلم، قيمة العمل، فقال: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلام، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)(19)، وقال: (لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَداً، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ)(20).

أما القيم الأخلاقية التي أرساها رسولنا الكريم في الميدان السياسي، فهي القيم التي شيد عليها بنيان الدولة الإسلامية، فكانت بفضل هذه القيم دولة قوية توفر للناس مطالب عيشهم، وتصون لهم حقوقهم، قيم أرسى بها الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم عمل الحاكم، وقيم حدد فيها حقوق المحكوم وواجبه إزاء الحاكم.

فهذه القيم هي قمة في السمو والرفعة، أرساها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بأقواله وأفعاله، فكانت الأسس الخالدة للحضارة الإسلامية، وكانت الينابيع الصافية التي استقيت منها أحكام الشريعة الإسلامية، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى استلهام هذه القيم في تنظيم حياتنا.

ونسأله سبحانه وتعالى أن يجزي الرسول، صلى الله عليه وسلم، عنا خير الجزاء، نشهد أنه قد بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركنا على بيضاء نقية، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولم تعرف البشرية رجلاً أسدى للإنسانية جمعاء من الفضل، وحقق لهم من المصالح؛ مثلما فعل الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم.

والله يقول الحق، وهو الهادي إلى سواء السبيل

الهوامش

1. القلم: 4.
2. مسند أحمد، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، رضي الله عنها.
3. سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، قال الألباني: حسن صحيح.
4. مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، إن المؤمن يدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح بغيره .
5. الأحزاب: 21.
6. صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إذا عرض الذمي بسب النبي، صلى الله عليه و سلم، ولم يصرح نحو قوله السام عليكم.
7. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق.
8. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع.
9. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.
10. سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في كلام النبي، صلى الله عليه وسلم.
11. سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، وقال: حديث حسن صحيح، وقال الألباني: حسن صحيح.
12. صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.
13. سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، قال الألباني: حسن صحيح.
14. مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، أفضل دينار ينفقه الرجل على عياله.
15. صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها.
16. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.
17. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.
18. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق.
19. صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده.
20. صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده.

لماذا نحبّ المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟

د.خالد محمود شريتح / القدس

قال تعالى: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}(1)

أخي القارئ الكريم

تحتفل الأمة الإسلامية بمولد المصطفى، صلى الله عليه وسلم، ويحتفل الكون كله بمولد أعظم نبي عرفته الإنسانية، لأنه صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة، والنعمة العظمى، الذي جعله الله تعالى سيد المخلوقات، وخاتم الأنبياء، الذي أنار الله تعالى بهدايته الأرض والسماء، ولأنه الإنسان الكامل الذي حوى جميع الكمالات والفضائل، وتكلمت بفضله والثناء عليه كثير من آيات القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}(2)، وقوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}(3)، فالفرح به صلى الله عليه وسلم أمرٌ فطري، جبل الله تعالى قلوب المؤمنين عليه، ومطلوب بأمر القرآن الكريم في قوله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}(4)، وهو الذي أرسله الله تعالى إلى الناس كافة، وجعل دعوته مناراً للبشر حتى قيام الساعة، يقول النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أُعْطِيتُ

خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي؛ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ).(5)

نحبه صلى الله عليه وسلم لأننا نحب الله تعالى، ولأن الله تعالى أحبه، ووضع في السماء محبته، وأمر الملائكة بمحبته، ووضع في قلوب المؤمنين محبته، حتى أحبه المؤمنون حباً جماً، ملأ قلوبهم، وأنار أركان حياتهم، وافتدوه بالغالي والنفيس، وأحبوه أكثر من محبتهم للدنيا وللأهل والأوطان، محبة غلبت محبة المرء لنفسه، فكيف لا نحبه؟ وكيف نتنكر لسنتّه الشريفة وهديه العظيم؟ فمن واجب الشكر لمن أحسن إلينا، وقد جعلنا الله تعالى بفضله خير أمةٍ أخرجت للناس أن نشكر هذا النبي، ونؤدي حقه علينا، وهو الذي علمنا أن نشكر الناس، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله، كما كنا بفضله صلى الله عليه وسلم، شهداء على الأمم، والرسول شاهد علينا، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}(6)، ويقول تعالى معبراً عن شرط محبته، ألا وهو اتباع سنته: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(7)، وورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ).(8)

وهنيئاً لمن أحبه حباً صادقاً فظهرت عليه آثار هذه المحبة، وتنافس في درجات القرب من الحبيب، صلى الله عليه وسلم، فكان ممن استنار قلبه بهذه المحبة، وأضاء فؤاده بأنسام العشق والشوق إليه عليه الصلاة والسلام، فرسول الله، صلى الله عليه وسلم، بشره بمقعد الصدق في الجنة، وأن يكون صلى الله عليه وسلم رفيقه في الجنة، عن أنس، رضي الله عنه، أَنَّ أَعْرابياً قال لرَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: وَمَاذا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ).(9)

إن أجمل صور الإيمان بالله تعالى، وبهذا الدين، تلك التي تنبع من معين المحبة لله ولرسوله، صلى الله عليه وسلم، وتتجلى هذه المحبة في أخلاقيات هؤلاء المؤمنين ومعاملاتهم وسلوكياتهم، وتجمعهم تحت لواء هذه المحبة والارتقاء في درجات الإيثار والمودة، وما حصلوا على هذه الدرجات إلا بتغنيهم بحب هذا الدين، وحب المصطفى، صلى الله عليه وسلم، الذي يبشر هؤلاء بالفوز العظيم والسعادة في الدنيا والآخرة.

ومن شأن هذه المحبة الصادقة أن ننهل من معين هذه الأخلاق النبوية الكريمة أن تتغير صورة الواقع الذي يحياه المرء إلى الصور والأحوال، فهو صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة الذي أوصى المؤمنين بهذا الخلق، ودعا إلى العناية بالأرملة واليتيم والمسكين والضعفاء، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وأحسبه قال: وَكَالْقَائِمِ لا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لا يُفْطِرُ)(10)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا)(11)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ)(12)، وتلا عليه الصلاة والسلام قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِي}(13)، وَقَالَ: عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ} (14) الآيَةَ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: (اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبَكَى، فقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ؛ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، عليه الصلاة والسلام، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوءُكَ).(15)

فيا من تدَّعي محبة هذا النبي الكريم؛ عليك بالتخلق بأخلاق المصطفى، صلى الله عليه وسلم، وهي تحوي الكمالات والفضائل الإنسانية، يقول عبد الله بن عمرو بن العاص: (لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا، وَقال: إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا)(16)، ومطلوب من كل مَنْ يزعم محبته أن يقرأ سيرته، ويطبق

تعاليمه، ويتدبر رسالته، وينظر في أقواله صلى الله عليه وسلم ليرى مدى صدق محبته لهذا النبي الكريم، وهو القائل: (لا يُؤْمِن أَحَدُكُم حتى يَكُونَ هو أَحبَّ إليه مِن ولدِهِ ووالدِهِ والناس أَجمعين)(17)، ورحم الله أمير الشعراء شوقي، حيث قال:

يا أَيُّـهـــــا الأُميُّ حَسْبُكَ رُتْبَةً في العلمَ أنْ دانتْ بِكَ العُلَماءُ
أَمـّا حَديثُكَ في العُقولِ فَمَشرَعٌ وَالعِلمُ وَالحِكَمُ الغَوالي المـــاءُ
بِكَ يا ابنَ عَبدِ اللهِ قامَت سَمحَةٌ بِالحَقِّ مِن مَلَلِ الهُـــــدى غَرّاءُ (18)

ورسالتنا إلى أمة الإسلام المجيدة، وهي تحتفل بمولده العظيم أن تجعل من محبتها لنبيها الكريم، صلى الله عليه وسلم، شعاراً لها، وهي تخوض ملحمة الحرية في ربيع الثورات المجيدة... وأن تجعل من تضحياتها الجسيمة ميلاداً لدولة الخلافة الراشدة التي أرادها الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، لا أن تكون دولاً ممزقة يحارب بعضها بعضاً في منظومة ما يطلق عليه الغربْ بالعالم المتخلف أو العالم الثالث ... بل ينبغي لها أن تكون العالم الأول، وكما أرادها القرآن (خير أمة أخرجت للناس)، وها هي بشائر الأمل بانبعاث الأمة في فجرها الجديد تنادي بالإسلام، بعد ليل حالكٍ طويل عانت فيه هذه الأمة البلايا والرزايا ... وحقاً إنه صراع الحق والباطل، الذي بشر به رسولنا الحبيب، صلى الله عليه وسلم، بقوله: (إِنَّ اللَّهَ تعالى زَوَى لِيَ الأَرْضَ، حتى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأَعْطَاني الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ).(19)

ولقد تحقق كثير من هذه البشارات النبوية، لعلّ أعظمها تلك التي سيحققها الله تعالى لهذه الأمة بعونه وتأييده ومحبته لهذا النبي، وهي الخلافة الراشدة التي تعمّ بركتها سائر أنحاء الأرض، والتي يتم فيها تحرير بني الإنسان من ظلم الإنسان والأنظمة المستبدة.

يروي حذيفة بن اليمان، رضي الله عنه، فيقول: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ

تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ سَكَتَ)(20)، وإن غداً لناظره لقريب. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً.

الهوامش

1. التوبة: 129.
2. الأنبياء: 107.
3. آل عمران: 164.
4. يونس: 58.
5. صحيح البخاري، كِتَاب الصَّلاةِ – أَبْوَابُ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا.
6. البقرة: 143.
7. آل عمران: 31.
8. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان.
9. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، المرء مع من أحب.
10. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم.
11. سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في رحمة الصبيان، وصححه الألباني.
12. سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في حق الجوار، وصححه الألباني.
13. إبراهيم: 36.
14. المائدة: 118.
15. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي، صلى الله عليه وسلم، لأمته وبكائه شفقة عليهم.
16. صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.
17. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ولإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة.
18. من همزية أمير الشعراء أحمد شوقي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.
19. صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، والمراد بالكنزين: الذهب والفضة وملك قيصر وكسرى.
20. مسند أحمد، أول مسند الشاميين، حديث النعمان بن بشير عن النبي، صلى الله عليه وسلم.

في ذكرى ميلاد الرسول ﷺ

نستلهم عظمة النبي وما حباه الله عز وجل من صفات في الكتب السماوية التي فضلته على سائر الأنبياء والرسل وفضلت أمته على سائر الأمم

بقلم: الشيخ حسن أحمد جابر / مفتي محافظة رفح

الحمد الله الذي أرسل نبينا محمداً، صلى الله عليه وسلم، بالحق، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله، المبعوث رحمة للعالمين، القائل عن نفسه: (لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ؛ أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ).(1)

اللهم صلي على سيدنا محمد، وعلى آله، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

أيها الإخوة المؤمنون؛ في هذه الأيام المباركة التي يحتفل فيها ملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بذكرى ميلاد سيد البشر أجمعين، هذا النور الذي جاءنا من مكان النور، وجاءنا بالكتاب المنشور، فيجدر بنا في هذه الأيام المباركة أن نطوف حول ما كان يتخلق به رسول الله من أخلاق حميدة، وما اتصف به من صفات حسنة، لنقتدي بها، فتتخلل هذه الأخلاق والصفات سلوكنا ومخبرنا ومظهرنا، فإن كثيراً من الرجال يتصفون بصفات حسنة ينفرد بها كل واحد منهم، وتصفهم أممهم بهذه الصفات، وذلك لأنهم يستنهضون أممهم، ويبذلون كل غال ومرتخص من أجل رفعة كلمة أممهم،

وبناء مجتمعهم، وما يقدمون من بذل وعطاء وجهاد في سبيل مجد أوطانهم والدفاع عن مقدساتهم، فيستحقون بذلك هذا الثناء، ولكن رسولنا محمد، صلى الله عليه وسلم، جمعت له هذه الصفات كلها؛ لما كان يتخلق به من أخلاق حميدة، فهو الذي نقل البشرية كلها من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، حيث كان العرب قبل الإسلام تسودهم روح العصبية والتشرذم والأثرة والعصبية القبلية التي كانت تنصر المظلوم على الظالم، والقوي على الضعيف، ولا تهتم بأمر الجماعة، فكانت القبيلة لا همَّ لها إلا الحصول على مأكلها وكلأها، ولا تهتم بأكثر من ذلك، وعندما بُعث النبي هادياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، أبدل كل هذه المفاسد، وأزال هذه المفاهيم الزائفة، وأوجد مكانها كل ما يحقق النصر والسلامة لهذه الأمة والبشرية أجمع.

كيف لا؟! ورسولنا، صلى الله عليه وسلم، يدعو إلى كل ما هو عظيم، ويدعو إلى صلاح البشرية، فكان يدعو إلى المساواة بين الأجناس، مبيناً أن التقوى هي المقياس الذي يقاس به فضل الإنسان على غيره، فيقول صلى الله عليه وسلم: (... لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إلا بِالتَّقْوَى...)(2). كما أنه كان يدعو إلى حفظ حقوق المرأة وعدم اتخاذها سلعة تباع وتشترى في أسواق الرقيق، كما كان يفعل الناس في جاهليتهم قبل الإسلام، وأما بعد بزوغ فجر الإسلام، وانتشار دعوة الإسلام، فقد زالت كل هذه المفاسد والمفاهيم الزائفة التي تحقر من شأن المرأة، فحث على إكرامها، وحفظ حقوقها، وحذر من التكبر عليها، فها هو رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في مرضه الذي مات فيه، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة يوصي المسلمين، فيقول: (الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ).(3)

كما دعا النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى التسامح بين الأديان، وحذر من سب الأديان وسب الأنبياء والرسل عليهم السلام، لأن الأنبياء إخوة، مهما اختلفت أمهاتهم، فأصل شرعهم واحد، وهو من عند الله عز وجل، يقول تعالى:{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}.(4)

كما دعا النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى السلام، وحث عليه، ولم يلجأ إلى الحرب إلا إذا اضطره المشركون إليها اضطراراً، فبهذا نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيا البشرية بعد أن كانت ميتة، وبعد أن كانت تعيش في ظلام دامس، وأما عن أخلاقه وصفاته، فيكفيهِ فخراً أن الله عز وجل مدحه، فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(5)، فقد قالت السيدة عائشة، رضي الله عنها: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)(6) فكان قرآناً يمشي على الأرض، فلم يُذكر خلق محمود إلا كان للنبي، صلى الله عليه وسلم، الحظ الأوفر منه، ووصف خلقه بالعظيم لاجتماع كل مكارم الأخلاق فيه، يقول النبي في ذلك: (إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالح الأَخْلاقِ)(7) حيث قال الله في محكم كتابه العزيز: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}(8)، فلما قبلت منه ذلك، قال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(9).

وفي ذكرى مولد الهدى والنور نستعرض ومعنا ملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ما وصف به رب العزة عز وجل نبيه من صفاتٍ حسنة، وما أوجده فيه من خصال حميدة، لنتخلق بها، ولتكون قدوتنا وأسوتنا، ولتكون منهاجنا الذي ننهجه في كل أقوالنا وأفعالنا، ومخبرنا ومظهرنا، فإن الاتصاف بهذه الصفات يؤدي إلى سلامة أمتيْنا العربية والإسلامية وقوتهما، وذلك لأن هذه الصفات تجلب أسباب النصر والعزة،

وجدير بنا أن نفخر بما وصف رب العزة به رسولنا، صلى الله عليه وسلم، من صفات حسنة وخصال حميدة، وكذلك وصف هذه الأمة المحمدية بصفات لم تثبت لأمة غيرها.

وفي هذه الأيام التي نحتفل بها بذكرى ميلاد النبي الأعظم، صلى الله عليه وسلم، نستلهم منها ما كان عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أيام حياته من كفاح ونضال، وإصرار على نشر دعوة الإسلام الخالدة، نستلهم هذه الدروس، فتزيدنا إصراراً وعزماً وتصميماً على استخلاص حقوقنا، وتحرير مقدساتنا، وبناء صرح دولتنا الفلسطينية، وعاصمتها القدس الشريف أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى النبي، صلى الله عليه وسلم، وما ذلك على الله بعزيز.

الهوامش

1. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم.
2. مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.
3. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه.
4. الشورى: 13.
5. القلم: 4.
6. مسند أحمد، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، وصححه الأرناؤوط.
7. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رضي الله عنه، وصححه الألباني.
8. الأعراف: 199.
9. القلم: 4.

الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، قدوتنا

الشيخ محمد سعيد صلاح / مدير عام البحوث والتخطيط ـ دار الإفتاء الفلسطينية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي الأمين، وعلى آله وصحابته الخيرين الطيبين، ومن سار على هديه إلى يوم الدين، وبعد؛

قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}.(1)

والأسوة: القدوة والمثل.

وتأسى به: احتذاه، وسار على هداه، واقتدى به.

وأسوة المسلمين رسول الله، سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، الذي أرشدنا إلى الطريق القويم، والسلوك المستقيم في جميع مناحي حياتنا إلى يوم الدين، وعلمنا كيف نكون مع الله، ومع أنفسنا، ومع غيرنا.

• فرسولنا، صلى الله عليه وسلم، يسبح بحمد ربه، عز وجل، ويذكره في كل حال وحين، وفي جميع الأوقات؛ قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، وبالليل وأطراف النهار، قال تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى}.(2)

وما هذا إلا تعليم لنا كيف يجب علينا أن نكون مع الله تبارك وتعالى، الذي خلقنا، وأنعم علينا بنعمه العظيمة، وآلائه الجزيلة، وخيراته التي لا تعد ولا تحصى.

فإذا كان، عليه السلام، يسلك هذا السلوك، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ويقول: أفلا أكون عبداً شكوراً، فكيف يجب علينا أن نكون مع الله عز وجل؟ ونحن الضعاف، وقد ارتكبنا من المعاصي والآثام ما يحتاج منا أن لا نفتر عن ذكر الله عز وجل في جميع أحوالنا وحالاتنا، في السر والعلن، في الليل والنهار، في الشدة والرخاء...

فقد كان صلى الله عليه وسلم، يصل ليله بنهاره، ذاكراً ربَّه، شاكراً لأنعمه، ليعلمنا أنه يجب علينا دوام الذكر، وتواصل الشكر، طلبا للرحمة، وزيادة للنعمة، ورفعة للدرجات.

• وها هو صلى الله عليه وسلم، يقوم الليل، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ}(3)، فالعبادة إقرار بالعبودية وإخلاص للخالق، عز وجل، ويعلمنا الحبيب كيف على هذا الجسد زكاة يجب أن تدفع، من عبادة دائمة، وصلاة متواصلة، إقراراً بإلوهية رب الأرباب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب.

إذا كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، معلم البشرية الخير، يقوم الليل متهجداً، استجابة لأمر الله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً}(4)، فأين نحن من هذه السنة العظيمة في زماننا، وقد غفل عنها كثير من أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، فهلا أحيينا هذه السنة العظيمة؟ لنكون ممن يقومون الليل طلباً لرحمة الله ومغفرته، وشكراً لنعمه وعطائه.

• ومن أخلاقه، صلى الله عليه وسلم، مع ربه، الخشوع في الصلاة، قال تعالى: {قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً}(5)، وقد أثنى الله عز وجل على من يخشع في صلاته قائلاً: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}.(6)

فهذا قليل من كثير من هدي خير المرسلين مع رب العالمين.

أمَّا هديه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه؛ فرأفته ورحمته بأصحابه وسائر الناس، وصفها الله بقوله سبحانه وتعالى: {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }(7)، فهذا النبي منكم، يا أمة العرب، لم يكن أعجمياً، ولا غريباً عنكم، بل تعرفونه ويعرفكم، ويحرص على رفعتكم في الدارين، ويعز عليه عدم استقامتكم أو انحرافكم، يحب لكم كل خير، ورفع كل إثم، يريد أن يكثر منكم في جنات النعيم، ويجنبكم ناراً وقودها الناس والحجارة.

- **خلقه العظيم:**

ففي القرآن الكريم الشهادة للنبي، صلى الله عليه وسلم، بالخلق العظيم، فيقول تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(8)، وأسمى ما وصف به النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، الخلق العظيم، وهو ما اشتمل عليه القرآن الكريم من مكارم الأخلاق؛ فقد كان امتثال القرآن سجية له، يأتمر بأمره، وينتهي عما ينهى عنه.

- كان، صلى الله عليه وسلم،ليِّنا هيِّناً، وليس بغليظ القلب:

قال تعالى:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }(9)، (فبرحمة من الله لك ولأصحابك -أيها النبي- منَّ الله عليك فكنت رفيقًا بهم، ولو كنت سيِّئ الخُلق، قاسي القلب، لانْصَرَفَ أصحابك من حولك، فلا تؤاخذهم بما كان منهم في غزوة (أُحد)، واسأل الله -أيها النبي- أن يغفر لهم، وشاورهم في الأمور التي تحتاج إلى مشورة، فإذا عزمت على أمر من الأمور -بعد الاستشارة- فأَمْضِه معتمداً على الله وحده، إن الله يحب المتوكلين عليه).(10)

- **خشيته، صلى الله عليه وسلم، لله عز وجل:**

ثم هو، صلى الله عليه وسلم، يخاف أن يعصي ربه، ويعمل حساباً ليوم الحساب: {قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}.(11)

• **تواضعه، صلى الله عليه وسلم:**

قال تعالى: {قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ }(12)، إني لا أدَّعي أني أملك خزائن السماوات والأرض، فأتصرف فيها، ولا أدَّعي أني أعلم الغيب، ولا أدَّعي أني ملك، وإنما أنا رسول من عند الله، أتبع ما يوحى إليَّ، وأبلِّغ وحيه إلى الناس، قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: هل يستوي الكافر الذي عَمِي عن آيات الله تعالى، فلم يؤمن بها، والمؤمن الذي أبصر آيات الله فآمن بها؟ أفلا تتفكرون في آيات الله؛ لتبصروا الحق فتؤمنوا به؟(13)

ومن تواضعه، صلى الله عليه وسلم، إقراره أنه بشر، قال تعالى: {أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً}(14)، (ويكون لك بيت من ذهب، أو تصعد في درج إلى السماء، ولن نصدِّقك في صعودك حتى تعود، ومعك كتاب من الله منشور نقرأ فيه أنك رسول الله حقاً، قل أيها الرسول متعجبًا مِن تعنُّت هؤلاء الكفار: سبحان ربي!! هل أنا إلا عبد من عباده مبلِّغ رسالته؟ فكيف أقدر على فعل ما تطلبون؟)(15)

• السمات الأخلاقية لرسولنا، صلى الله عليه وسلم، تظهر مع غير المسلمين جلية كما هي مع المسلمين، ومن تلك السمات:

1 - إجارته لغير المسلمين من مشركين وغيرهم رغم ما فعلوه به:

قال تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ}.(16)

2 - وكذلك إحسانه المادي والمعنوي للأسرى:

قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيم}.(17)

3 –التزامه، صلى الله عليه وسلم، بالعهود والمواثيق والعقود:

قال تعالى: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}.(18)

فأين نحن من هدي الحبيب، فالمحب لحبيبه يقلد، وعلى خطاه يسير، فإن كنت أخي من أحباب المصطفى، صلى الله عليه وسلم، فحاسب نفسك واسألها، يا نفس ماذا من هدي الحبيب تلتزمين؟ وماذا من كتاب الله تطبقين؟

ولعل المقام لا يتسع للحديث عن أخلاقه، صلى الله عليه وسلم، فهو الرحمة المهداة للعالمين، ولكني قطفت بعضاً منها، سائلاً العلي القدير أن نكون على قدر المسؤولية والأمانة فنتّبع خطاه، لعل نفوسنا تتجه نحو البوصلة الإيمانية الرحمانية، التزاماً بحبيبنا المصطفى المختار، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الهوامش

1. الأحزاب:21.
2. طه: 130.
3. المزمل: 20.
4. الإسراء: 79.
5. الإسراء: 110.
6. المؤمنون: 1 – 9.
7. التوبة: 128.
8. القلم: 4.
9. آل عمران: 159.
10. http://forums.moheet.com/sho – thread.php?t=51774
11. الأنعام: 15.
12. الأنعام: 50.
13. التفسير الميسر.
14. الإسراء: 93.
15. التفسير الميسرة لتفسير سورة الإسراء 4/495.
16. التوبة: 6.
17. الأنفال: 70.
18. النحل:91.

من إرهاصات نبوته صلى الله عليه وسلم

إعداد: الدكتور الشيخ ياسر حماد / مدير دائرة البحوث

من سنن الله في خلقه ألا تأتي الأحداث الجسام دون مقدمات لها، فالنهار لا يأتي دون مقدمات، تبدأ بخروج الفجر الصادق، والمطر لا ينزل دون أن تتلبد السماء بالغيوم، وكذا في أحوال البشر، فالنبي لا يأتي دون إرهاصات تقدم له، فالإرهاصات: هي ما يظهر من الخوارق عن النبي قبل ظهوره(1)، والمعجزة هي أمر خارق للعادة، إلا أن الله يجريه على يد نبيه مقروناً بالتحدي(2)، فمن إرهاصات نبوة عيسى، عليه السلام، حمل امرأة زكريا بيحيى، عليه السلام، وهذه مقدمة بين يدي ما هو أعظم؛ لأن امرأة زكريا كانت عجوزاً، وجرت سنة الحياة ألا يولد لمثلها، وكان هو كذلك قد بلغ من الكبر عتياً، ولما رأى من كرامات الله سبحانه وتعالى لـمريم، عليها السلام، تعجب واستغرب، قال تعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}(3)، حينئذ دعا زكريا ربه قائلاً: {... رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}.(4)

والإرهاصات بين يدي رسالته صلى الله عليه وسلم كثيرة، منها ما كان قبل ولادته، ومنها ما هو بعدها.

إرهاصات ما قبل ولادته صلى الله عليه وسلم

وردت بشارات الأنبياء قبله صلى الله عليه وسلم، بمبعثه، فمن ذلك:

1- ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}(5)، قال الإمام ابن كثير: (يعني التوراة قد بشرت بي، وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد، فعيسى، عليه السلام، وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين لا رسالة بعده ولا نبوة)(6)، عن لُقْمَانُ ابْنُ عَامِرٍ قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ ؟ قَالَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ).(7)

2 - قصة الفيل، قال بعض العلماء: إن حادثة الفيل من شواهد النبوة ودلالاتها، ومن هؤلاء: الماوردي، رحمه الله، حيث يقول: (آيات الملك باهرة، وشواهد النبوة ظاهرة، تشهد مباديها بالعواقب فلا يلتبس فيها كذب بصدق، ولا منتحل بحق، وبحسب قوتها وانتشارها يكون بشائرها وإنذارها، ولما دنا مولد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- تعاطرت آيات نبوته، وظهرت آيات بركته، فكان من أعظمها شأناً، وأشهرها عياناً وبياناً؛ أصحاب الفيل).(8)

وقال ابن تيمية، رحمه الله: (فأرسل الله عليهم طيراً أهلكتهم، وكان ذلك عام مولد النبي، صلى الله عليه وسلم، وكان جيران البيت مشركين؛ يعبدون الأوثان، ودين النصارى خير من دينهم، فعلم بذلك أن هذه الآية لم تكن لأجل جيران البيت حينئذ؛ بل كانت لأجل البيت أو لأجل النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي ولد به في ذلك العام عند البيت، أو لمجموعهما، وأي ذلك كان، فهو من دلائل نبوته)(9)، وقال ابن كثير، رحمه الله، عندما

تحدث عن حادثة الفيل: (كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدرة يقول: لم ينصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيرتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق، الذي سنشرفه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد، صلوات الله وسلامه عليه، خاتم الأنبياء عليهم السلام).(10)

3 - حفظ الله للبيت الحرام، لقد حفظ الله بيته المعظم من كيد النصارى في ذلك الوقت؛ أبرهة وجنوده، وعلى الرغم من أن العرب كانوا على الشرك؛ فإن الله تبارك وتعالى حفظه من أن يدنسه المشركون، وحتى تنبت فيه العقيدة الجديدة حرة طليقة، وهذا من تدبير الله لبيته ودينه، وقبل أن يعلم أحد أن نبي هذا الدين سيبعث قريباً، وقد تدخل الله تبارك وتعالى حينئذ لعدم وجود الجماعة المؤمنة؛ التي تدافع عن بيته؛ أما الآن فالمؤمنون كثر؛ ومن فضله عليهم أنه يشرفهم بأن يكونوا أداة لتحقيق قدره في الكافرين.

إرهاصات ما بعد ولادته صلى الله عليه وسلم:

1 - خروج النور عند ولادته، صلى الله عليه وسلم، للحديث السابق: (وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ).

2 - قصة أبي سفيان المشهورة مع هرقل، حيث قال لأبي سفيان: (وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ).(11)

3 - بشارات أهل الكتاب من أحبار اليهود ورهبان النصارى، فقد روى الإمام أحمد من حديث سلمة بن وقش، وكان من أصحاب بدر، قال: (كَانَ لَنَا جَارٌ مِنْ يَهُودَ فِي بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بِيَسِيرٍ ، فَوَقَفَ عَلَى مَجْلِسِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، قَالَ سَلَمَةُ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَحْدَثُ مَنْ فِيهِ سِنًّا، عَلَيَّ بُرْدَةٌ ، مُضْطَجِعًا فِيهَا بِفِنَاءِ أَهْلِي، فَذَكَرَ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ وَالْحِسَابَ، وَالْمِيزَانَ، وَالْجَنَّةَ، وَالنَّارَ فَقَالَ: ذَلِكَ لِقَوْمٍ أَهْلِ شِرْكٍ، أَصْحَابِ أَوْثَانٍ، لا يَرَوْنَ أَنَّ بَعْثًا كَائِنٌ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ يَا فُلَانُ تَرَى هَذَا كَائِنًا؟ إِنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ، وَنَارٌ يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ، قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَوَدَّ أَنَّ لَهُ بِحَظِّهِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَعْظَمَ تَنُّورٍ فِي الدُّنْيَا، يُحَمُّونَهُ ثُمَّ يُدْخِلُونَهُ إِيَّاهُ فَيُطْبَقُ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ غَدًا، قَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَبِيٌّ يُبْعَثُ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْبِلادِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ مَكَّةَ، وَالْيَمَنِ، قَالُوا: وَمَتَى تَرَاهُ؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ وَأَنَا مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ: إِنْ يَسْتَنْفِدْ هَذَا الْغُلامُ عُمُرَهُ يُدْرِكْهُ، قَالَ سَلَمَةُ: فَوَاللهِ مَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى بَعَثَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَآمَنَّا بِهِ، وَكَفَرَ بِهِ بَغْيًا وَحَسَدًا، فَقُلْنَا: وَيْلَكَ يَا فُلانُ، أَلَسْتَ بِالَّذِي قُلْتَ لَنَا فِيهِ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: بَلَى. وَلَيْسَ بِهِ).(12)

4 – ومنها حادثة شق الصدر، وهو ابن أربع سنين، فعن أنس بن مالك، (أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَاهُ جِبْرِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ).(13)

5 – قصة بحيرا (بحيرى) الراهب، فحينما بلغ ثنتي عشرة سنة خرج به عمه إلى الشام، وقيل كانت سنه تسع سنين، وفي هذه الرحلة رآه بحيرى الراهب فعرفه، لما كان عنده من ذكره ونعته؛ فأخبر أهله بذلك، وأمر عمه ألا يقدم به إلى الشام خوفاً عليه من اليهود(14)، والقصة بتفاصيلها أوردها الأمام الترمذي في جامعه بسند حسن.(15)

6 – عظيم بركته على مرضعته حليمة السعدية في بني سعد، حيث فاضت عليها الخيرات من كل جانب بعدما أرضعته.(16)

7 – تسليم الحجر عليه قبل النبوة، فعن جابر بن سمرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إني لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كان يُسَلِّمُ عَلَيَّ قبل أَنْ أُبْعَثَ، إني لأَعْرِفُهُ الآنَ).(17)

8 – الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فعن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أنها قالت: (أَوَّلُ ما بُدِئَ بِهِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، من الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ في النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ).(18)

وإرهاصات نبوته، صلى الله عليه وسلم، كثيرة لا يتسع المقام لذكرها، وكلها تدل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

1. التعاريف للمناوي:151.
2. الإتقان للسيوطي: 2 /311.
3. آل عمران:37.
4. آل عمران: 38 – 39.
5. الصف: 6.
6. تفسير ابن كثير: 4 /360.
7. مسند أحمد، مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، قال الأرناؤوط: صحيح بغيره.
8. أعلام النبوة للماوردي: 185وما بعدها.
9. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: 6 /343.
10. تفسير ابن كثير: 4 /548، 549.
11. صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم.
12. مسند أحمد، مسند المكيين، حديث سلمة بن سلامة بن وقش، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.
13. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى السماوات وفرض الصلوات.
14. زاد المعاد: 1 /76، الجواب الصحيح: 2 /72.
15. سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبي، صلى الله عليه وسلم، وصححه الألباني.
16. صحيح ابن حبان: 14 /245.
17. صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي، صلى الله عليه وسلم، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة.
18. صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

في ذكرى مولد الرسول الهادي صلى الله عليه وسلم

أ. محمود حافظ إسماعيل / طوباس

في الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام هجري، تمر ذكرى من السيرة العطرة، ذكرى مولد المعلم الأكبر، والسيد الملهم، محمد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه، لتروي للزمان بطولات خالدة، إنه عالم كامل، وإنها ملحمة مثيرة، امتدت روايتها ثلاثة وستين عاماً، وسارت أصداؤها مدى الأيام إنسانية زاخرة بالرفيع السامي من المثل الزاهرة.

وكانت الرسالة الكبرى،{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً}.(1)

وكان شعوره بها على قدر الأثر الهائل الذي خلفته في الوجود، وكان ملامح هذا الكفاح الذي أنشأه أعاجيب ظلت أحاديث الزمن، داعياً إلى الله في إلحاح، لا يعرف الغلظة، وإصرار لا ترقى إليه الرعونة، ودأب لم يعرف الملالة، ومجاملة تنبثق عن خلقٍ سامٍ عظيم، صبوراً في مجالات القول والعلم، صبوراً لم تعرف العاديات أصبر منه، وأعيته سنون على ترقب وتريث، ومناضلة مستميتة، بطيئة النتائج، فمدَّ حبل الأمل من مكة إلى الطائف، فطاردته في هاجرة قائظة، وهو مجهد متعب جائع، وأدمى الصبية قدميه، فدعا ربه قائلاً: (اللّهُمّ إلَيْك أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي، وَقِلّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي؟ أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْته أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِك عَلَيّ غَضَبٌ فَلا أُبَالِي، وَلَكِنْ عَافِيَتُك هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الّذِي

أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا وَالآخِرَةِ، مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَك، أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سُخْطُك، لَك الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى، وَلا حَوْلَ وَلا قُوّةَ إلا بِك)(2).

ليت شعري، هل اتسعت مجالات القيادة المكافحة مدى أربعة عشر قرناً بعد محمد، صلى الله عليه وسلم، فاحتاجت إلى خطة سامية لم يرسمها لها بكفاحه وجهده؟

لقد علم المساكين والمضطهدين جميعاً كيف ينتصرون، ولن ينتصروا إلا بما علمهم محمد، صلى الله عليه وسلم، القائد الذي نقّى الضمائر، ووحد المشاعر، وسخر الإمكانات بالحق والإنصاف، وأوضح لكل ذهن طريقة العمل بعد أن جمع العقول على عقيدة واضحة، فلما استكمل كل شيء توجه بالدعاء، وتوقع النصر عندما استنفذ أقصى طاقات العمل.

وكل ذلك استوحاه من شريعة الإسلام، هذه الإنسانية الفياضة العريضة، التي تحتقر التمييز العنصري والجغرافي، هذه الإنسانية المسامحة الطهور الوضاءة، وهي التي تستطيع أن تحل عقد هذا الزمان الخطير المترنح تحت أثقال الضلالات، وستجد البشرية إما الإسلام، وإما الفناء.

يا سيدي يا رسول الله؛ لقد عبد الناس الدنيا وتركوا الآخرة، نسوا لقاء الله، وتذكروا فقط ما يمكن أن يحصلوا عليه في هذه الدنيا بالزيف والكذب وسوء الأخلاق، تذكروا اليوم، ونسوا الغد القريب، تذكروا ما يأخذون، ونسوا أنهم تاركون له لا محالة، وحسبوا أنّ ما يحصلون عليه حراماً مكسباً لهم، بينما هو خسارة عليهم، لأنها تزيد من ذنوبهم، وتبعدهم عن الطريق القويم.

هذه هي الدنيا في ذكراك يا رسول الله، وتلك الدنايا لم تأمر بها، ولا طلبت من الناس أن يتخذوها سبيلاً، ولكنهم تركوا طريقك المستقيم، وانطلق كل منهم يشق طريقه على هواه، ويحسب أنه يكسب، وهو خاسر.

ما أحوجنا إليك يا رسول الله، لتعيد الناس إلى الطريق المستقيم، وتذكرهم بالحقيقة التي نسوها، في ظل صراع الدنيا، وتضع طمع البشر في حدوده الحقيقية حتى يتذكر الناس أن الإنسان سيخرج من الدنيا فارغ اليدين كما دخلها.

ما أحوجنا إليك يا رسول الله، لتذكر الظالم بأن قوة الله، وقدرته مع المظلوم تنصره، وأنّ

الذي يظلم إنما يعادي الله، وما أبأس من عادى الله في ملكوته وجبروته، وأنّ أكل حقوق الناس إنما هو ذنب عظيم، حتى يلتزم كل إنسان الحق، ويبتعد عن أن يطغى على حقوق الآخرين، ويتذكر إذا غرته قوته البشرية على الناس، قدرة الله التي هي بلا حدود ولا قيود، والتي إذا أتت لا مرد لها.

سيدي يا رسول الله:

إن الأمور قد انقلبت في الدنيا، فأصبحت المعصية نوعاً من المهارة. وأصبحت السرقة نوعاً من الذكاء، وأصبح الحصول على الأموال بالباطل نوعاً من المهارة، ولقد علمتنا أن هذا كله نوع من الغضب الإلهي يجب أن لا يفرح به إنسان، بل لا بد أن يفزع ويخاف؛ لأن الله إذا غضب على عبد يسر له المعاصي، وسهل له الحصول على المال الحرام، وجعل ظلم الناس عمله، والتعالي على خلق الله أسلوبه في الحياة، وذلك حتى يتمادى، ثم يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

إن الموازين قد انقلبت، فأصبح الأمين غبياً، والمطيع لله ناقص الذكاء، وأصبح الذي يقول الحق أبله، وأصبح الذي يرفض الحرام إنساناً لا بد أن يتخلص منه، وأصبحت كلمات (الله أكبر) في الأذان مقلقة للبشر، وأصبحت خطبة الجمعة نوعاً من (الشوشرة) التي لا بد أن تسكت، وألا يرتفع بها صوت، وتحققت في هذا الزمان نبوءتك يا رسول الله حول علامات الآخرة، وهي أن يعطى الأمر لغير أهله، وأن يتعالى الحفاة العراة في البنيان، وأن لا يؤمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر.

ما أحوجنا إلى بداية جديدة في ذكرى مولدك يا رسول الله.

والله تعالى يقول: {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}.(3)

الهوامش

1. الأحزاب: 45 – 46.
2. السيرة النبوية، ابن هشام، 2/ 44.
3. الرعد:11.

زاوية الفتاوى

قال تعالى : ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:43)

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. العمل في شركة وساطة مالية

السؤال: أعمل في شركة وساطة مالية لبورصة عملات ومعادن، ووظيفتي هي القيام بعملية التأكد والمراقبة لعمليات البيع والشراء، فهل عملي هذا يقع ضمن الأعمال المشروعة؟ وإن كان غير ذلك، فما عليّ فيما جمعته من مال خلال عملي في هذه الشركة؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإن العمل في مراقبة عمليات البيع والشراء، والتأكد منها في شركة وساطة مالية لبورصة عملات ومعادن، جائز شرعاً، مع ملاحظة أن معاملات بيع المعادن والعملات وشرائها يجب أن تخضع لأحكام الصرف، من حيث اختلاف الجنس أو اتحاده عند التبادل، والقبض في مجلس البيع، وهو ما يتم اليوم من خلال الوكلاء باستخدام وسائل الاتصال الحديثة.

أما إذا اقترنت عمليات البيع والشراء بالقروض الربوية، أو من خلال فتح حسابات

جارية مدينة خاضعة للفوائد الربوية، فهذه معاملات غير جائزة شرعاً، لاقترانها بالربا المحرم، الذي حرم الله التعامل به، والعمل بمؤسساته، لقوله تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}(1)، ولعن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: (هُمْ سَوَاءٌ).(2)

2. إكراه الفتاة على الزواج

السؤال: ما حكم إجبار الأب ابنته على الزواج بغير رضاها، وهل هذا الإكراه على الزواج يخل بركن من أركان عقد الزواج؟

الجواب: رضا العاقدين شرط من شروط صحة عقد النكاح، ولا يحق للأب أن يجبر ابنته على الزواج دون رضاها، لقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، وَلا الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: كَيْفَ إِذْنُهَا، قَالَ: إِذَا سَكَتَتْ).(3)

والأولى للبنت أن تطيع والدها، وخاصةً إذا كان الزوج الذي اختاره الوالد صالحاً، لقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ).(4)

مشيراً إلى أنّ المودة أساس العلاقة الزوجية، وهي مبنية على الرضا وفق الشريعة، ولا تعتبر البنت عاصية أو مذنبة إن لم تطع والدها. ويحق للبنت أن ترفض هذا الزواج أمام المأذون الشرعي عند إجراء عقد النكاح، حيث لن يتم العقد دون رضاها، فإن أخفت ما في نفسها، إرضاءً لوالدها، ولم ترفض فالعقد صحيح، ولا تعتبر المعاشرة الزوجية في هذه الحالة زنى، ويأثم الأب لأن الشرع أعطى المرأة كامل الحق في اختيار الزوج.

3. خروج المعتدة من وفاة

السؤال: أرملة تريد حضور حفل خطبة حفيدتها أثناء عدتها الشرعية، فهل يجوز لها ذلك؟

الجواب: على المرأة المعتدة من وفاة زوجها المبيت في بيتها، ويجوز لها الخروج لقضاء حوائجها ومصالحها التي لا تنقضي إلا بها، كخروجها للعلاج أو العمل، فعن جابر، رضي الله عنه، قال: طُلِّقَتْ خَالَتِي، فَأَرَادَتْ أَنْ تَجُدَّ نَخْلَهَا، فَزَجَرَهَا رَجُلٌ أَنْ تَخْرُجَ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (بَلَى، فَجُدِّي نَخْلَكِ، فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِي، أَوْ تَفْعَلِي مَعْرُوفاً)(5)، وبالنسبة لحضور خطبة حفيدتها، فذلك ينزل منزلة الحاجات الاجتماعية والأسرية التي يصعب على المرء التخلف عن تلبيتها، وبناءً عليه؛ فلا مانع من مشاركة هذه المرأة في حفل خطبة حفيدتها، على أن تتجنب الزينة وما تنهى المعتدة عنه، وكل ما يتنافى مع معنى الحداد والعدة، فعن أم سلمة، رضي الله عنها، عَنِ النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قَالَ: (الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، لاَ تَلْبَسُ الْمُعَصْفَرَ مِنَ الثِّيَابِ، وَلاَ الْمُمَشَّقَةَ(6)، وَلاَ الْحُلِيَّ، وَلاَ تَخْتَضِبُ، وَلاَ تَكْتَحِلُ).(7)

4. مواصفات الكفن الشرعي

السؤال: الرجاء توضيح مواصفات الكفن الشرعي للرجل والمرأة، من أجل إرسالها إلى البلدية، ولتعميمها على الأهالي؟

الجواب: إن تكفين الميت فرض كفاية، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا خَيْرُ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ)(8)، فبعد موت الإنسان وغسله وتطهيره يكفن بشيء من جنس ما يجوز له لبسه في حياته، وصفات أكمل الكفن في السنة للرجل: ثلاثة أثواب، إزار ولفافتين، فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: (كُفِّنَ رَسُولُ اللَّهِ،

صلى الله عليه وسلم، فِي ثَلاَثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ).(9)

أما المرأة فتكفن بخمسة أثواب: قميص وإزار وخمار ولفافتين، لأنها تخرج فيها حال الحياة، فكذلك بعد الممات، وتكره المغالاة في الكفن، كما يكره التكفين بالمعصفر والمزعفر والشعر والصوف، والجلد، ويغسل الميت بالماء والسدر، ويوضع الطيب على الكفن، ويجعل الحنوط فيما بينها، فعن أم عطية قالت: (دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ تُوُفِّيَتْ ابْنَتُهُ، فَقَالَ: اغْسِلْنَهَا ثَلاثًا أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي، فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ، فَأَعْطَانَا حقوه (الإزار وجمعه حقو)، فَقَالَ: أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ، تَعْنِي إِزَارَهُ).(10)

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الهوامش

1. البقرة: 275.
2. صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا وموكله.
3. صحيح البخاري، كتاب الحيل، باب في النكاح.
4. سنن الترمذي، كِتَاب النِّكَاحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، وقال الألباني حسن لغيره.
5. صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب جواز خروج المعتدة البائن والمتوفى عنها زوجها فى النهار لحاجتها.
6. الممشقة: المصبوغة بالمشق وهو الطين الأحمر.
7. سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب فيما تجتنبه المعتدة في عدتها، وصححه الألباني.
8. سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في البياض، وصححه الألباني.
9. صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في كفن الميت.
10. صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر.

إيمانيات

الأورادُ في حياةِ الصالحين

عمار توفيق أحمد بدوي / مفتي محافظة طولكرم

اتسمت حياة الصالحين باستغراق العبودية لله سبحانه، فغدت سِنيُّ عمرهم كواكبَ نيّرات، تضيء جوانح النّفوس التقية النقيّة، وهناك جملة أسرار تختفي وراء أولئك الرجال العِظام، والأعلام الفخام، وعند تحليل تلك الأسرار، وجدنا أنّ تلك العظمة تتكئ على زاد روحي وفير، وإغراق عميق في سلسلة الوصل بالقرآن العظيم، والذكر الحكيم، والابتهالات الساطعات في دياجير الظُّلَم، والركعات النفيسات في جوف الليالي الداجيات. ورأيت نسقاً ألمعياً لأولئك العظام؛ جعلوه وِرداً معهوداً، لا يحيدون عنه غدوّاً وعشيّاً. واجتهد كثير منهم بأوراد مقتبسة من القرآن الكريم، والأدعية المأثورة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وازدانت بالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، وصنوف الذكر العاطر، وسمّي ذلك وِرداً. وهذه الدراسة المقتضبة تضعنا في صورة الوِرد، من حيث المعنى والأهمية في حياة الصالحين.

معنى الوِرد في اللغة:

جذر الورد، هو الفعل وَرَدَ، و(الواو، والراء، والدال: أصلان، أحدهما الموافاة إلى الشيء).(1)

(والوِرد: من أسماء الحُمّى، وقيل هو يومها. والوِردُ ورودُ القوم الماء، والوِرد: الماء الذي يورَد. والوِرد: الإبل الواردة. والوِرد: وقت يوم الوِرْدِ بين الظِّمْأَيْنِ، والوِردُ: اسم من ورْدِ يوم الوِرد. وما ورد من جماعة الطير، والإبل وما كان، فهو وِرْدٌ. تقول: وَرَدَتِ الإبل، والطير هذا

الماء وِرداً، ووَرَدَته أوْراداً. وإنما سمّي النصيب من قراءة القرآن وِرداً من هذا، والوِرد خلاف الصَّدَر. والوِرد: الوِرّادُ وهم الذين يردون الماء، والوِردُ: النصيب من الماء.

والوِرد: النصيب من القرآن؛ تقول: قرأت وِردي. والأوراد جمع وِرْد، وهو الجزء، ويقال: لفلان كلَّ ليلة ورْد من القرآن يقرؤه؛ أي مقدار معلوم، يقال: قرأ وِرده وحِزبه؛ بمعنى واحد. والوِرد: الجزء من الليل؛ يكون على الرجل يصليه).(2)

معنى الوِرْد في الاصطلاح:

العرض السابق لمعنى الوِرْد في اللغة؛ أعطى تشعّباً لمعناه، والمعنى الاصطلاحي سيأخذ تفرعات عِدّة؛ وذلك حسب موقع استعمال هذا المصطلح. فالوِرد القرآني له معنى، ووِرد التسبيح له معنى، ووِرْد المناجاة له معنى آخر.

ويطيب لي القول هنا: إنّ إبداع اللغوي ابن فارس (ت395هـ) ـ كالعادة ـ لفت انتباهي؛ فقد أصابت نظرته اللغوية الثاقبة، مَكْمَن التعريف الذي منه نستطيع تحقيق القول في المعنى الاصطلاحي للوِرد.

قال ابن فارس: (الواو، والراء، والدال: أصلان، أحدهما الموافاة إلى الشيء).(3)

وهذا يعني؛ أنّ الفعل وَرَدَ يصل بك، ويوفيك إلى شيء آخر. فإن وردت الماء؛ وفّيت إلى بلّ الصدى، وذهاب الظمأ، وهذا وِرد. وإذا وَرَدْتَ القرآن؛ فقرأته؛ فيوفيك وروده إلى هدايته، وأنواره، وهذا وِرد. وإذا وردتَ باب مناجاة الله جل جلاله؛ فأوصلتك إلى حماه، وغمرتك أنوار هدايته؛ فهذا وِرد المناجاة.

أقول: (الوِرْدُ حبلٌ يصل المرء إلى مقصدٍ يطلبه)، وسمّي الوريدُ وريداً؛ لأنّ (الوريد عِرق يتّصل بالكبد والقلب، وفيه مجاري الدم).(4)

وهناك تعريفات للوِرد عند أهل التصوف منها:

1. (ما يرتّبه العبد على نفسه، أو الشيخ على تلميذه من الأذكار، والعبادات).(5)
2. (مجموع أذكار وأدعية بقصد مناجاة الرب سبحانه وتعالى، والتذلل بين يديه؛ وفاء بحق العبودية له).(6)

3. والوِرد: (يطلقه الصوفية على أذكار يأمر الشيخ تلميذه بذكرها صباحاً بعد صلاة الصبح، ومساءً بعد صلاة المغرب).(7)

4. وقولهم: (إنّ وِرد الإنسان هو ما رتّبه على نفسه من أنواع الطاعات، والعبادات).(8)

أهمية الأوراد في حياة الصالحين:

ثبتَ ذكر المعنى الاصطلاحي للوِرد، في حديث النبي، صلى الله عليه وسلم، فعن عبد الرحمن بن عبد القاري، رضي الله عنه، قال: سمعت عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ).(9)

و(الحِزب ما يجعله الرجُل على نفسه من قراءة، أو صلاة كالوِرْد).(10) وسمّي الوِردُ؛ الوظيفة من قراءة، ونحو ذلك.(11)

واهتم العلماء بحساب عدد ركعات صلاة الفرض، والراتبة، والنافلة التي كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يصلّيها، وعدّوا ذلك مِنْ وِرده، صلى الله عليه وسلم، وأطلقوا مصطلح الوِرد على ذلك. وعن هذا الوِرد، قال ابن القيم، رحمه الله: (كان مجموع ورده صلى الله عليه وسلم، الراتب بالليل، والنهار أربعين ركعة، كان صلى الله عليه وسلم، يحافظ عليها دائماً؛ سبعة عشر فرضاً، وعشر ركعات، أو اثنتي عشرة سُنّة راتبة، وإحدى عشرة، أو ثلاث عشرة ركعة قيامه بالليل، والمجموع أربعون ركعة).(12)

وقال ابن القيم: (فينبغي للعبد أن يواظب على هذا الوِرد دائماً إلى الممات؛ فما أسرع الإجابة، وأعجل فتح الباب لمن يقرعه كلّ يوم وليلة أربعين مرة، والله المستعان).(13)

ومما يدلّ على المحافظة على الأوراد حتى الممات؛ قول ابن عطاء السكندري: (الوِرد ينطوي بانطواء هذه الدار). (14)

ومِنَ العلماء مَنْ عدّ الأوراد عِلماً من العلوم؛ ومنهم من صنفها ضمن صنوف علم الحديث الشريف.(15)

ولأهمية الأوراد في صقل النفس الإنسانية، وتهذيب سلوكها، وتزكيتها؛ أفرد حجّةُ الإسلام

الشيخ أبو حامد الغزالي، الأوراد بعنوان: (كتاب الأوراد)، وفصّله في كتابه (إحياء علوم الدين)(16)، وبوّب الأوراد، وقسّمها على مدار اليوم والليلة، حيث قال: (واعلم أنّ أوراد النهار سبعة، وأوراد الليل خمسة).(17)

والوِرد قائم على نظريات؛ منها نظرية استثمار الوقت بكل ما هو نافع. قال الإمام الغزالي، رحمه الله: (فالغافل في نَفَسٍ من أنفاسه؛ حتى ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلفى؛ متعرضاً في يوم التغابن لغبينة، وحسرة ما لها منتهى؛ ولهذا الخطر العظيم، والخطب الهائل؛ شّمر المشمرون عن ساق الجِدِّ، وودّعوا بالكلية ملاذ النفس، واغتنموا بقايا العمر، ورتّبوا بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد حرصاً على إحياء الليل، والنهار؛ في طلب القرب من الملك الجبار، والسعي إلى دار القرار؛ فصار من مهمّات علم الطريق؛ تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد، وتوزيع العبادات).(18)

ولابن عطاء السكندري ـ صاحب الحكم العطائية ـ كلام نفيس، في الورد قال: (لا يستحقر الوِردَ إلا جهول) (19)، (وكيف يُستحقر الوِرد، وبه يكون الورود على الملك المعبود؟!).(20)

واكتسبت الأورادُ أهميةً بالغة في حياة الصالحين؛ وهذا يتجلى في كثير من الروايات عنهم، وما نقل عن أحوالهم، رحمهم الله تعالى.

ومما يؤثر عن الصالحين؛ أنهم حافظوا على الأوراد إلى آخر لحظة في حياتهم؛ فقد روى ثابت البناني، قال: (ذهبت إلى أبي وهو في الموت، فقلت له: يا أبتِ، قل لا إله إلا الله، فقال: يا بنيّ خلِّ عني؛ فإني في وردي السادس، أو السابع).(21)

وعن سليمان بن يسار، قال: (أصبح أبو أسيد، وهو يسترجع؛ فقيل له: ما لَك؟ قال: نمت عن وِردي الليلة؛ فرأيت كأنّ بقرة تنطحني)(22).

وقال أبو سليمان الداراني: نمت ذات ليلة عن وِردي؛ فإذا بحوراء تنبهني، وتقول: يا أبا سليمان، تنام وأنا أُربى لك في الخدور منذ خمسمائة عام (23).

وقال محمد بن إبراهيم: (رأيت الجنيد في النوم؛ فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت

تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسحار، وتذاكروا بين يديه أهل المعرفة وما استهانوا به من الأوراد، والعبادات، بعدما وصلوا إليه. فقال الجنيد: العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك. وقال: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول، صلى الله عليه وسلم، واتبع سُنّته، ولزم طريقته، فإنّ طُرقَ الخيرات كلها مفتوحة عليه)(24).

وقال الأستاذ سعيد حوّى: (فالأوراد اليومية في حياة المسلم؛ هي زاده اليومي الذي لا ينبغي أن يهمله، وعلى هذا؛ فإننا ندعو كل مسلم أن يرتّب لنفسه وِرده اليومي، ويدخل في ذلك تنظيم أوقاته) (25).

الهوامش

1. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر. باب الواو والراء وما يثلثهما. ج6، ص105.
2. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، فصل الواو. ج3، ص457 – 458، 460. وينظر ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث. تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، بيروت، دار الكتب العلمية. 1399هـ/1979م. ج5، ص381.
3. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. باب الواو والراء وما يثلثهما. ج6، ص105.
4. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط1، ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية. 1418هـ/1997م، ص592.
5. ابن عجيبة، أحمد بن محمد الحسني، إيقاظ الهمم في شرح الحِكم. [شرح الحكم العطائية]. بيروت، المكتبة الثقافية. ص209.
6. الشبرواي، عمر بن جعفر: إرشاد المريدين في معرفة كلام العارفين، مج1، ص7، لم تظهر على هذه النسخة رقم الطبعة، ولا بلد النشر، فالغلاف الخارجي غير موجود.
7. عيسى، عبد القادر، حقائق عن التصوف. مج1، عمّان، المطبعة الوطنية. 1401هـ/1981م. ص226.
8. حوى، سعيد: تربيتنا الروحية. بيروت، دمشق، دار الكتب العربية. 1399هـ/1979م. ص103.
9. صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض.

10. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج1، ص945. وينظر: الفيومي، أحمد ابن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي مج2. بيروت، المكتبة العلمية. ج1، ص113.
11. الفيومي، المصباح المنير، ج2، ص655.
12. ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط1. تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة. 1399هـ/1979م. ج1، ص327.
13. المرجع السابق.
14. ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحِكم. ص209.
15. ينظر القنوجي، صديق بن حسن، أبجد العلوم الوشي المرقوم في أحوال العلوم. تحقيق عبد الجبار زكار. بيروت، دار الكتب العلمية. 1978م. ج2، ص18، 118.
16. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، ج1، ص331.
17. المرجع السابق، ج1، ص331، 341.
18. المرجع السابق، ج1، ص330.
19. ابن عجيبة، إيقاظ الهمم في شرح الحِكم، ص209.
20. المرجع السابق، ص209.
21. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المرجع السابق. ط1. تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية. 1406هـ ص146. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، صفة الصفوة، ط2، تحقيق محمود فاخوري، والدكتور محمد رواس قلعجي. بيروت، دار المعرفة. 1399هـ/1979م، ج3، ص263.
22. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد، المنامات. ط1، تحقيق عبد القادر عطا. بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية. 1413هـ/1991م. ص98. ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله ابن محمد، التهجد وقيام الليل، ط1، تحقيق مصلح بن جزاء الحارثي، الرياض، مكتبة الرشد. 1998م.
23. ابن الجوزي، صفة الصفوة. ج4، ص224.
24. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط2. تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1393هـ/1973م. ج3، ص121.
25. حوى، تربيتنا الروحية، ص123.

إيمانيات

القرآن في رعاية الرحمن!!

ا. ياسين السعدي

استعرت نيران الحقد على الإسلام والمسلمين في قلوب أعداء الله، وتوالت الدعوات الحاقدة إلى حرق القرآن الكريم في العالم الغربي، الذي أظهرت الأحداث المتلاحقة مدى حقده على الإسلام، ومدى استهتاره بالمسلمين، ومدى تخاذل هؤلاء الذين لا تثيرهم مثل هذه الدعوات بأكثر من بيانات الإدانة والشجب والاستنكار.

أفسدت السياسة الخبيثة ما أصلحه الدين القويم من العلاقات بين الأمم والشعوب، وأتلفت المطامع المادية ما غرسته الأديان السماوية من القيم والمثل بين البشر، وما دعت إليه من التآخي والتسامح والتراحم بين بني الإنسان في كل مراحل التاريخ الإنساني المستنير بأنوار السماء، وآخرها وأتمها نور القرآن الكريم.

بث الحاقدون على الإسلام، والذين يخشون منهاجه في تطبيق العدالة الاجتماعية، والمساواة، وتوزيع الثروة، وكل ما دعا إليه من القيم العليا والأخلاق السامية، بث هؤلاء سموم الأحقاد، والتشويه والدس الرخيص على الإسلام والمسلمين، ابتداء من (كبير المنافقين)؛ عبد الله بن سلول، في زمن الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، ومروراً

ببعض المستشرقين الذين تم تجنيد كثير منهم لتحقيق هذه الغاية اللئيمة من (زويمر)، الذي لبس العمة، وارتدى الجبة، وجاور الأزهر الشريف؛ متظاهراً بالإسلام، ووصولاً إلى القس الأمريكي، باري جونز، الذي أعلن أنه سوف يقوم بحرق القرآن أمام وسائل الإعلام، وعلى مرأى العالم ومسمعه، بما فيه العالم الإسلامي والوطن العربي.

مواقف كثيرة، وممارسات لئيمة، قام بها الحاقدون ضد القرآن وأتباعه ويقومون، وخصوصاً في المعتقلات والسجون التي يحشر فيها المسلمون، عندما يقعون في قبضة المحتلين والغاصبين بتهمة الإرهاب، كما تناقلت وسائل الإعلام عن حرق القرآن الكريم، وإلقاء النسخ التي يحملها المعتقلون في غوانتنامو وغيره في المراحيض، أو الدوس عليها بأحذيتهم، أو حتى استعمال أوراقه في أمور قذرة؛ إمعاناً في إظهار العداء للإسلام والمسلمين، حتى في الدول التي تزعم صداقتها مع الدول الإسلامية التي تشاركها محاربة الإرهاب كما يزعمون.

هذه التصرفات المشينة، والممارسات اللئيمة، هي من ضمن الحملة الحاقدة على القرآن الكريم؛ لأنه تثيرهم وتستفزهم أخبار الذين يقبلون على الإسلام من مواطنيهم الذين صاروا ممن {...يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً} (1)، مما جعلهم يتخوفون من انتشار الإسلام، كما انتشر في شرق آسيا بفضل تعاليمه السمحة، وضبط السلوك الإنساني، والمعاملات الاجتماعية السليمة، والأخلاق القويمة التي تحفظ المجتمعات من الانحلال.

حتى الجنود الذين يقومون بحراسة المعتقلات تتغير أفكارهم، وتتبدل معاملاتهم؛ لأنهم يكتشفون بأنفسهم {إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً} (2)، فيسترشد بنوره الذين يبحثون عن النور

الحق، والذين يتلمسون السبيل الصحيح للوصول إلى حياة مستقرة ومطمئنة.

تطالعنا الأخبار دائماً عن إقبال علمائهم الذين سماهم القرآن بـ (أولي الألباب) ووصفهم بـالذين يَتَفَكَّرُونَ، كما جاء في الآية 24 من سورة يونس، وغيرها من الآيات، فيقبلون على الإسلام، ويهتدون بنور القرآن الكريم؛ مما يزيد سفهاءهم حقداً على الإسلام، وكرهاً بالمسلمين، فيقومون بتصرفات أقل ما توصف بـ(المشينة).

يتحفني الأصدقاء دائماً بإرسال مختاراتهم المميزة التي تنم عن الذوق الرفيع، والفهم الكبير، والإدراك الواسع لمجريات الحياة التي يمر بها العالم الإسلامي، ويرسلون بوساطة البريد الإلكتروني ما هو خير، وفيه معرفة وتوعية {... لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}. (3)

من ضمن هذه المختارات، وصلتني رسالة من صديق عزيز، فيها صور لمبنى أقيم حديثاً في إسبانيا، التي تدعي صداقة العرب، على شكل مسجد، وأطلقوا عليه اسم (مكة)، ولكنه في الحقيقة قاعة، تقام فيها حفلات السكر، وممارسة الدعارة، وكل المنكرات التي يحاربها الإسلام العظيم، وحرمها القرآن الكريم.

تظهر في إحدى هذه الصور حفلة راقصة، تضم الرجال والنساء بأوضاع يأنفها الذوق الإنساني المهذب، وترفضها تعاليم السماء جميعاً، وليس القرآن الكريم وحده؛ لأن كل الديانات هي من وحي السماء قبل أن يتم إدخال التحريفات عليها لمواكبة عصر التحرر.

إسلام عمر وعلمائهم:

كان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، معادياً للإسلام في بداية الدعوة، وعندما علم أن

أخته دخلت في هذا الدين الجديد، ذهب إليها يهددها، ويتوعدها، ويحاول أن يثنيها عن هذا الدين، ويعيدها إلى ملتها الأولى من عبادة الأصنام.

ويروى أنه لطمها عندما رفضت أن تعطيه الصحيفة، التي كان يسمع تلاوة القرآن منها عند قدومه قبل أن يغتسل، وأصرت على موقفها. وعندما قرأ ما كان يتلى في بيتها خشع قلبه، وانفتح عقله، ورق لها، وأعلن إسلامه؛ لأنه اهتدى بنور القرآن الكريم، وصار نصير الإسلام بسيفه الذي كان يعده لمحاربة الإسلام.

وكان أبو سفيان، رأس الكفر قبل فتح مكة، غير أنه صار على رأس فرسان الإسلام وتحت إمرة ابنه يزيد، مع ولده معاوية، في معركة اليرموك، وحارب بشجاعة وتضحية لدرجة أنه فقد إحدى عينيه في تلك المعركة.

أما عكرمة بن أبي جهل، فقد كان يحارب وهو مكشوف الصدر، ولا يحتمي بالدرع، وعندما نصحه بعض المسلمين بأن يقي نفسه بوضع الدرع على جسده، رفض قائلاً: كنت أنا وأبي من ألد أعداء الإسلام، أفلا أقاتل في سبيله بالقوة نفسها التي عاديته بها؟ وقاتل قتال الأبطال من غير درع، ونصر الإسلام بسيفه، وانتصر المسلمون بهمة فرسانهم الذين كانوا من أمثال عكرمة، وأبي سفيان، والقعقاع بن عمرو، وغيرهم من فرسان المسلمين الغر الميامين.

هكذا يحدث اليوم مع كثير من (علماء) الغرب الذين يهتدون بنور القرآن، فيقبلون على دين الله، ويصيرون من أنصاره، ومن دعاته الذين يتفانون في نشره والدفاع عنه، ومؤازرة المسلمين في ديارهم، بل نطالع أحياناً أن بعض هؤلاء قد صاروا من جند الله الذين يجاهدون ضد الغاصبين لبلاد المسلمين، وينالون الشهادة، أو يعتقلون ويعذبون،

ولكنهم يظلون ثابتين، متمسكين بعقيدتهم، ويحافظون على دينهم.

حتى المغول الذين كانوا في البداية أعداء الحضارة؛ بما مارسوه من تدمير وتخريب وتقتيل، إلا أنهم صاروا بناة الحضارة، ورعاة الدين الإسلامي عندما اهتدوا، فحملوه في فتوحاتهم، وأهدوه إلى الأمم التي وصلوها، فاهتدت بهم أمم وشعوب، كما نعلم من حضارة المغول في الهند مثلاً.

والترك الذين أعزهم الله بالإسلام، وأعز الإسلام بهم، فحملوه إلى أوروبا، حيث انتشر في البوسنة، والهرسك، وألبانيا، وبلغاريا، وغير ذلك من الدول التي وصلتها جحافلهم، ترفع راية القرآن الكريم.

كثيراً ما نقرأ عن علماء غربيين اعتنقوا الإسلام، وصاروا أكثر التزاماً به، حتى من الذين كان لهم فضل أخذه عنهم. كما قرأت قبل أسابيع قصة رجل مسلم، تزوج من فتاة أجنبية، استطاع أن يقنعها بدخول الإسلام، وعندما تذوقت حلاوة الإيمان، وعرفت فضائل الإسلام، صارت أكثر منه التزاماً بما جاء به القرآن الكريم.

وعندما رأت أن زوجها لا يقوم بواجباته الدينية، طلبت الانفصال لأنه مسلم منافق، يدعو إلى سبيل الرحمن، ولكنه يتبع سبيل الشيطان، ويطيب لي أن أقتبس هذا النص من نشرة إخبارية تقول: (تعرض الأمير تشارلز، ولي عهد بريطانيا لهجوم شرس من الكُتاب البريطانيين، بعد أن أشاد بتعاليم الدين الإسلامي والقرآن الكريم، ووصلت انتقادات مهاجميه إلى حد القول بأنه اعتنق الإسلام لكنه يُخفي هذا الأمر).(4)

القرآن في حفظ الرحمن؛ لأنه منقوش في الصدور قبل أن يدون في السطور، جاء في الأخبار أن أكثر من أربعة وعشرين ألفاً في قطاع غزة، قد أتموا حفظ القرآن الكريم في رمضان من العام الماضي.

ولنا في إسلام الدكتور (ميلر) عبرة لمن يهديه الله، ويصير نصيراً للإسلام بعد أن كان عدواً له، فقد كان ميلر مبشراً، يبحث عن عيوب في القرآن لكي يبثها عن الإسلام، فدرس القرآن الكريم؛ لكي يجد فيه من الأخطاء والعيوب ما يوظفه في مهمته التبشيرية. لكن الرجل وجد أن القرآن {لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}. (5)

وأذهل الطفل التركي الذي لم يجاوز العاشرة من عمره العالم؛ لأنه حفظ القرآن الكريم حتى بغير اللغة العربية. ووصلتني رسالة بالبريد الإلكتروني من صديق عزيز تفيد أن 50 % من سكان دارفور هم من حفظة القرآن الكريم. فهل هناك خوف على القرآن الكريم، بالرغم من كل محاولات الدس والتحريف والتشويه؟

الجواب جاء في الآية التاسعة من سورة الحجر، يطمئن رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم، والمسلمين على رعاية دينهم القويم والكفالة الأبدية للقرآن الكريم، فقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}. (6)

الهوامش

1. النصر: 2.
2. الإسراء: 9.
3. ق: 37.
4. http://www.syriadays.com/index.php?mode=article&id=3906&page=109
5. فصلت: 42.
6. الحجر: 9.

قراءات تربوية

طوبى لمعلمي الناس الخير!!

أ. كمال بواطنه
وزارة التربية والتعليم - رام الله

سُئِلَ فاتح الممالك الإسكندر الأكبر عن سبب إكرامه معلمه فوق إكرامه والده، فقال: (إنَّ والدي سبب حياتي الفانية، أما معلمي فسبب حياتي الباقية)، ويا لشوقي القائل:

قم للمعلم وفــه التبجـــيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبني وينشئ أنفساً وعقولاً

لقد حرص الإسلام على أن يزرع القيم التي تزيد في إجلال المعلم؛ ذلك أنّ هيبة العلم تهتز، إذا اهتزت هيبة المعلم، فأباح الإسلام تقبيل يد المعلم، فعن ابن عباس، رضي الله عنه، أنه كان ينحني مقبلاً يد زيد بن ثابت، رضي الله عنه، ويقول: (هكذا أمرنا أُن نصنع مع علمائنا).

وتحدثنا كتب السيرة كيف أن الصحابة كانوا يجلسون في حضرة معلم الإنسانية صلى الله عليه وسلم، كأنّ على رؤوسهم الطير، وكانوا لا يرفعون صوتهم فوق صوته؛ إجلالاً له واحتراماً، وقد جاء القرآن الكريم محذراً من يخالف هذا السلوك، كما فعل بعض الأعراب، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}(1)، وهذا سلوك ينبغي أن يسري على كل معلم في كل زمان.

والقرآن الكريم رسم لنا السلوك السوي الذي ينبغي أن يتحلى به طالب العلم، فيبتعد عن كل ما من شأنه إزعاج معلمه، عندما يأوي إلى بيته طلباً للراحة، أو للإعداد لدروسه، أو القيام على شؤون أهله، فليس من اللائق، وليس من الأدب أن يؤتى في مثل هذه الأوقات بما يسبب له الإزعاج الشديد، ويفسد عليه راحته، ويشغله عن القيام بواجبات أخرى، {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ}.(2)

ومما ينبغي الانتباه إليه؛ أن المعلم قد يعتريه حالات من النفور، فيحتجب عن طلابه، وقد لا يجيبهم عن مسألة، وعنده ما يبرر هذا السلوك، فلا يجوز أن يلام، ومن واجب طلابه أن يسترضوه، وألا يراجعوه في سبب الإعراض عنهم، أو تركه الإجابة عن بعض أسئلتهم؛ ليعود إلى حلقته، أو إلى درسه معززاً مكرماً، ورحم الله عبدالله بن المبارك، الذي قال في الإمام مالك:

يأبى الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان

هدي التقى وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

من المؤلم أن هذه القيم اهتزت في نفوس بعض الطلبة وأولياء أمورهم، فتجد الطالب يسيء إلى معلمه، فلا يجد استهجاناً من زملائه، ولا يجد تعنيفاً من ولي أمره، أو من مجتمعه، بل قد يجد تشجيعاً على الاستمرار في هذا السلوك غير السوي، والنتيجة أن سوء الأدب يتراكم كل يوم ككرة الثلج، ولا تجد من يقرع أجراس الخطر، ويحذر من مثل هذا السلوك الذي زاد الشعور عند المعلمين أنهم يعيشون في مسبعة (كثيرة السباع)، وليس في دار علم، وأنه لا أحد يقف معهم في محنتهم، فأين نحن من زمان كان المعلم فيه كما قال شوقي:

كانوا أجلّ من الملوك مهابة وأعز سلطاناً وأفخم مظهراً

وكانوا كما قال أحدهم:

إن الأكابر يحكمون على الورى وعلى الأكابر يحكم العلماء

لقد أصبحنا نسمع كثيراً عن معلمين يُعتدى عليهم أثناء الدوام وبعده!! ونسمع عن مواطنين يهجمون على المدارس في صورة همجية تنذر بشرٍّ مستطير، ولا يراعى فيها حرمة...!! وأنا لا أبرئ دوماً المعلم والإدارة والجهات المسؤولة من المسؤولية؛ فبعض المعلمين لا يحسنون التصرف أحياناً، والإدارة قد لا تتصرف بحكمة أحياناً أخرى، والجهات المسؤولة تضع أحياناً من التعليمات ما يقيّد الإدارة والمعلمين.

ينظر المرء في سنين خلت، فيقف إجلالاً لطلبة وأهلين قدروا المعلم حق قدره، فتخرجت على أيديهم أجيال تفوقت في الميادين كافة، على الرغم من الإمكانات المحدودة.

اليوم وبسبب سوء الظن، وبمجرد سماع الوالدين بأن ولدهم ضرب ضرباً غير مبرح لأجل تأديبه، تتصاعد اللعنات والشتائم، وقد يصل الأمر إلى الهجوم على المدرسة، وإيذاء المعلمين، وتحطيم ممتلكات المدرسة، وتقديم الشكاوى، وقد يربضون للمعلم بعد خروجه من المدرسة، ويسببون له أذىً نفسياً، وربما جسمياً أيضاً.

إنّ المعلمين سيبقون على الدهر المشاعل التي تنير الدروب، والنجوم التي يهتدي بها الحيارى، والدوحة التي يجني ثمارها الجائع، والينابيع الثرة (الكثيرة والواسعة والغزيرة) التي ينهل من معينها الظمآن، فطوبى لهم، فطوبى لهم؛ فهم الذين يعطون أكثر مما يأخذون، ولا يعلمون الناس إلا الخير، وهم بوابة المجد وسلّمه، وهم خير من جاد، وأكرم من أعطى؛ والجود بالفكر أسمى غاية الجود، وعطاؤهم الموصول لا يحاط به، ولن ترقى أمة لا تضعهم في المكانة المرموقة التي يستحقون أن يكونوا فيها.

إنهم ورثة الأنبياء، الذين لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورّثوا علماً، ولكنَّ هذا لا يعني أن يعيش المعلم معيشة الكفاف أو دونها؛ وبخاصة أننا نعيش في زمان كثرت فيه

متطلبات الحياة، وليس منها مهرب؛ فهناك فواتير لا بدّ أن تسدد، وهناك أبناء بحاجة لأن تُدْفع عنهم نفقات كثيرة؛ من تعليم، وعلاج...، وهناك وهناك...

ومؤكد أن المعلم في الدول الناهضة يحظى بموضع اهتمام كبير؛ لخطورة الدور الذي يضطلع به، فنهضت هذه الدول به؛ تحسيناً في مستوى معيشته، ونهضت به تدريباً، ونهضت به تكريماً، شعارها:

فبئس العلم صاحبه إذا ما عاش مغموراً

وبئس العلم صاحبه إذا ما عاش مقهوراً

وبئس العلم صاحبه إذا ما عاش مفقوراً

إنني أحزن وأنا أبصر معلماً يهرول للحاق بوظيفة أخرى بعد انتهاء دوامه، تخلّ -في كثير من الأحيان- بوقار الوظيفة؛ ليسدد ما ترتب عليه من أقساط وجبت، وفواتير تراكمت، ومتطلبات حياة تزايدت.

فهل سنعايش زماناً نرى فيه المعلم مطمئناً إلى دخله، مُبجلاً بين طلابه، محترماً في مجتمعه، غير مشوش الفكر مما تكالب عليه من هموم الدنيا ومطالبه، يعطي أقصى ما يمكن إعطاؤه بقناعة ورضا؟؟

الهوامش

1. الحجرات: 2 - 3.
2. الحجرات: 4.

في اللغة العربية صعوبات التعلم الناتجة عن الإعاقة السمعية

أ. يوسف عدوي / جامعة بيت لحم - كلية التربية

مقدمة

لا فرق بين الشخص الذي يعاني من مشكلات في السمع والإنسان العادي، ويرجع ذلك إلى اهتمام المجتمعات بالمعوقين سمعياً، ومساعدتهم والأخذ بأيديهم؛ للتخفيف من المعاناة التي هم فيها، بتوظيف الوسائل الكفيلة بتحسينهم؛ ليكونوا إلى حد ما بمستوى الأصحاء. وأعتقد أننا تجاوزنا العديد من المشكلات التي لا ترتبط بالإعاقة ذاتها، بل بالمشكلات الناتجة عن نظرة الناس إلى الأشخاص المعوقين سمعياً، وتوقعاتهم منهم، واتجاهاتهم نحوهم، وللأسف كانت نظرة كثيرين في المجتمع إلى الإعاقة السمعية تمثل عوائق إضافية، تحول دون تمكن الشخص المعوق من التكيف، ودون قيامه بدوره في المجتمع إلى الحد الأقصى الممكن.

تعريف الإعاقة السمعية وتصنيفها:

تعرّف الإعاقة السمعية: أنها حرمان الطفل من حاسة السمع، إلى درجة تجعل الكلام المنطوق ثقيل السمع، مع استخدام المعينات أو بدونها، وتشمل الإعاقة السمعية الأطفال الصم وضعاف السمع. وتصنف الإعاقة السمعية وفق بعدين رئيسين:

1) العمر الذي حدثت فيه الإعاقة السمعية، وهي وفق هذا البعد نوعان:

أ- صمم ما قبل اللغة، وهي فقد الطفل القدرة السمعية قبل اكتسابه اللغة، أي قبل سن الثالثة، وهذا يترك آثاراً سلبية على نمو الطفل اللغوي؛ لأنه يفقد كثيراً من المثيرات السمعية، مما يؤدي إلى محدودية خبراته، وقلة تنوعها، ويكون غير قادر على تعلم الكلام واللغة.

ب- صمم ما بعد اللغة، وهو الذي يصيب الأطفال بعد بلوغهم سن الخامسة، أي بعد اكتسابهم الكلام واللغة، فتكون قد توافرت لديهم مجموعة من المفردات اللغوية. وهم يستطيعون المحافظة عليها أو تقويتها، إذا توافرت لديهم الرعاية التربوية اللازمة.

2) مدى الخسارة السمعية، وتصنف الإعاقة السمعية وفق هذا البعد إلى أربع فئات:

أ ـ فئة الإعاقة السمعية: وتتراوح قيمة الخسارة السمعية لدى هذه الفئة ما بين 20 - 40 % ديسبل، فلا تسمع بعض أجزاء الكلمة بشكل جيد، كذلك الصوت الضعيف.

ب ـ فئة الإعاقة السمعية المتوسطة: تتراوح الخسارة السمعية لديها ما بين 40 - 70 % ديسبل، وهنا استعمال آلة السمع ضرورية؛ لأن الصوت العادي لا يسمع.

جـ ـ فئة الإعاقة السمعية الشديدة: تتراوح الخسارة السمعية لديها ما بين 70 - 90 % ديسبل، ينعدم سماع الكلام، واستعمال آلة السمع ضروري جداً، كذلك التربية الصوتية.

د ـ فئة الإعاقة السمعية الشديدة جداً: وتزيد الخسارة السمعية عن لديها 92 % ديسبل، ويبقى الطفل أبكم إذا لم يتلق تربية مختصة، وإذا لم تتوافر له آلة السمع، وإذا لم تتبع عائلته النصائح والتوجيهات الضرورية.

طريقة الاتصال اللفظي في تعليم المعوقين سمعياً:

الطريقة إحدى الوسائل الأساسية المتبعة في أسلوب التعليم الشفهي، التي كانت

سائدة في القرن قبل الماضي. واستمرت حتى النصف الثاني من القرن العشرين، وتعتمد على قراءة الشفاه، التي تعتمد بالتالي على فلسفة العين بدل الأذن، وتعتمد هذه الطريقة على التفاهم عن طريق الكلمة المنطوقة من الصم، وتشتمل القدرة على لفظ الكلام المنطوق وفهمه، وتستخدم الطرق الآتية في تدريب الأشخاص المعوقين سمعياً على مهارات قراءة الشفاه:

1) الطريقة التحليلية:

وتشمل تعليم المعوَّق سمعياً، وتعريفه بالشكل الذي يأخذه كل صوت على الشفتين، وتدريبه على تحديد كل صوت، فيتم تعليمه أصوات الحروف منفردة، وبعد أن يتقن نطق كل صوت على حدة، يشكل منها كلمات، ويتدرب على نطق تلك الكلمات، ثم يكوّن منها جملاً. ومن عيوب هذه الطريقة، أن الطفل الأصم قد يعمد إلى نطق كل حرف في الكلمة كما هو لو كان منفرداً، فيكون نطقه متكلفاً، ويتعذر على الفهم.

2) الطريقة التركيبية:

وبها يتم تدريب الفرد على التعرف إلى أكبر عدد ممكن من الكلمات المنطوقة، وتعريفه بالكلمات التي لم يفهمها بالاعتماد على كفاءته اللغوية، وتعتمد أيضاً على تدريب الطفل الأصم على نطق الكلمة ككل منذ البداية، ثم تدريبه على بناء الجملة، حتى إذا ما بلغ مرحلة الاستعداد لتصحيح النطق، دُرب على الكلمات غير المنطوقة بشكل سليم.

3) الطريقة الصوتية:

يكون فيها التركيز على أجزاء الكلمة، فيتم فيها تعليم الطفل نطق الحروف الساكنة والحروف المتحركة، ثم يتعلم نطق مجموعة من الحروف المتحركة، ويتعلم نطقها مع بعضها كحروف متحركة، ثم نطق هذه الحروف مع بعض الحروف الساكنة، وهكذا.

4) طريقة الوحدة الكلية أو المعنى:

قد تكون قصة قصيرة، حتى وإن كان الطفل لا يفهم منها سوى جزءٍ صغيرٍ جداً.

5) طريقة إبراز الصوت المرئي أولاً، ثم الأصوات المدغمة

المشكلات والصعوبات المرتبطة باستخدام طريقة التواصل الشفهي :

1 – تشابه بعض الحركات الكلامية في المخارج، مثل حروف (الباء والميم) و(التاء والدال)، أو تشابه بعض الكلمات مثل: (تاب، داب)، و(غالي، خالي)، و(ظهر، زهر)، و(تين، طين)، و(جبل، جمل).

2 – اختلاف نطق بعض الحروف بين الأشخاص، سواء في البيئة الواحدة، أم البيئات المختلفة.

3 – بعض الأطفال لا يمتلكون المهارات اللازمة لتعلم الطريقة الشفهية، وبعضهم الآخر لا يستطيع التمييز سمعياً وبصرياً بما فيه الكفاية.

4 – تشابه بعض مخارج الحروف، فيصعب التمييز بينها، وبعضها الآخر ينطق داخل الفم، ولا يظهر على الشفتين.

5 – لا تساعد هذه الطريقة على تعلم الكلام وتنمية اللغة بشكل جيد؛ لأن قارئ الشفاه لا يستطيع في أحسن الأحوال استيعاب أكثر من 40 % من الكلام المنطوق.

مشاركة الأسرة في تربية الطفل المعوق سمعياً وتدريبه:

تأخذ مشاركة الوالدين في العملية التربوية أشكالاً عدة، منها:

1 – توفير الدعم الاجتماعي والانفعالي للوالدين من خلال الإرشاد الفردي والجماعي.

2 – تعليم الوالدين وتثقيفهما من خلال البرامج التربوية والتدريبية الفردية والجماعية.

3 – قيام الوالدين بتعليم طفلهما في المنزل بشكل مباشر، وذلك بعد تدريب الاختصاصيين لهم.

4 – مشاركة الوالدين في غرفة الصف كملاحظين، أو مساعدين للمعلمين.

5 – التواصل المفتوح مع الاختصاصيين لتبادل المعلومات حول حاجات الطفل وخصائصه وتطوره.

6 – مشاركة الوالدين في التخطيط للبرامج وتنفيذها وتقويمها.

طبيعة الطفل الأصم في المرحلة الابتدائية

يتميز الطفل الأصم في هذه المرحلة بما يأتي:

1 – تمتع الطفل نسبياً باستقرار جسمي وفكري، ويزداد هذا الاستقرار، كلما تقدم الطفل بالسن.

2 – شعور الأطفال بالقدرة الجسدية، ويقومون بألعاب وحركات، تتطلب مجهوداً خاصاً لإثبات مثل هذا الشعور.

3 – ميل الأطفال إلى المنافسة وفرض الذات.

4 – احترامه لنفسه ولزملائه، في هذه المرحلة يبدأ لدى الطفل تحولٌ اجتماعي، فيعطي المجتمع الأهمية التي يعطيها لنفسه، فيقلل انفعالاته حينما يعتدي عليه أحد، ويصحح أخطاءه بنفسه؛ لأنه أصبح يدرك الصحيح من الخطأ.

5 – اقتناء الأشياء وجمعها، إذ تظهر لديه المتعة والميل في اقتناء الأشياء وجمعها، كالصور والطوابع البريدية والأقلام الملونة.

6 – ميل الأطفال إلى التعرف على العالم الخارجي، وكلما تقدم في العمر، ازداد الإلحاح في نفسه، حتى يبلغ الحادية عشرة، فيكون قد وصل إلى مرحلة يمكن أن يفهم فيها، ويدرك فعل القوانين المتعلقة بالأسباب والمسببات.

النطق واللغة:

إذا أردنا تحسين النطق عند الأصم، فإن علينا تطوير مهارته اللفظية وتنسيقها، بحيث تقوم بعملها على أكمل وجه مستطاع. فالطفل الطبيعي يتعلم اللغة بأسلوب مجبول بالخوف والتقليد والتكرار والإصغاء، وكذلك الطفل الأصم. وفي كلتا الحالتين يجب التركيز على القدرة على تنفيذ الأفعال الخاصة، والتعبير عنها باللغة.

إن من أهم واجبات المعلم هي انتشال الطفل الأصم من عزلته الاجتماعية والعقلية، ويمكن التوصل إلى ذلك عن طريق المحاولات المتكررة، التي تعمل إما بالنطق أو قراءة الشفاه، ولا يجوز مقارنة نطق الطفل الأصم مع النطق الواضح والصريح للطفل العادي. والدروس التي تقدم بالأسلوب البصري الشفوي لا ترسخ في الذاكرة إلا إذا درست ضمن مواقف تطبيقية، ويعدّ التعليم المدرسي ركيزة أساسية لتدريب مهني مقبل.

لذا؛ فمن المهم جداً تدريس الأطفال بأسلوب يجمع بين قراءة الشفاه والإصغاء، ويحتاج معظم الطلاب في مدارس الصم، والعديد من الأطفال الذين يوصفون بالسمع الجزئي إلى تدريب على النطق، الذي يعتمد على اللفظ الحركي والآلي، ويحتاج مدرسو الصم إلى التدريب على اللفظ، لهذا فلا مجال للاتكال على اللفظ السمعي، أو اللفظ الحركي الآلي فقط، وهدف تدريس الأطفال الصم هدف تثقيفي نسعى من ورائه إلى الحصول على أكبر نسبة تدريبات على تطور النطق، بشكل فردي مرة في اليوم على الأقل، لمدة (15) دقيقة لكل طفل، وفي الوقت نفسه؛ يتضمن تدريب النطق على ضبط فعالية الأجزاء المختلفة لأعضاء النطق. واعتماد القراءة البطيئة في أول الأمر، وقراءة الشفاه تعد جزءاً كاملاً في اللغة التامة، بحيث تشمل ألعاباً ونشاطات أخرى، ثم يأتي دور القراءة ببطء في بدايتها، وتحدد إمكانات تمييز الطفل وفهمه لاسمه الخاص، ثم أسماء رفاقه في المدرسة، ومن ثم الكلمات البسيطة، والتعابير المستعملة، ثم تكتب على اللوح.

ويجب أن تكون مادة القراءة وسيلة لإغراء الطفل الأصم من أجل التقدم والتطور في القراءة بالمستقبل، بحيث لا تتضمن صعوبات في الفهم والإدراك، وإنما أساليب وطرقاً تزود الطالب بالقناعة والرضا التام في تعلم اللغة، ويعد تصوير الأفلام القصصية موادَّ جيدة لتعليم القراءة، وذلك بتصوير الحالة تلو الأخرى بشكل متتابع ومترابط، وبلغة بسيطة ومناسبة.

كذلك يمكن تمثيل القصة أو سردها دون تصوير أحداثها، وبعد استيعاب الطلاب لها، يأتي دور قراءة القصة بشكل مكتوب أو مطبوع.

أرى أن ضعف المستوى اللغوي عند الطلبة الصم، وتحديد أسلوب تطويره وتحسينه، ناتج بسبب عدم وجود كتب ومناهج مدرسية خاصة لهم. لذا يجب أن تكون هناك مناهج وكتب دراسية خاصة لهذه الشريحة من المجتمع، تتناسب وقدراتهم ومستوياتهم ومشكلاتهم، تعمل على تعليمهم، وتثقيفهم، وتطويرهم، ودمجهم في المجتمع والمدارس العادية.

الكفايات الشخصية الضرورية لمعلمي ذوي الصعوبات التعليمية:

1 - قوة الملاحظة والقدرة على تسجيل المواقف الصفية.

2 - القدرة على العمل ضمن فريق متعدد التخصصات.

3 - التمتع بمستوى مقبول من المعرفة بخصائص النمو والأبعاد النفسية والتربوية للطلاب.

4 - الرغبة المستمرة في التطوير وتحديث المعلومات.

5 - القدرة على تفسير المعلومات الواردة في التقارير الطبية والنفسية.

6 - القدرة على تكييف المعلومات والمفاهيم.

7 - القدرة على تكييف أساليب التقويم والاختبارات.

8 – القدرة على بناء علاقة اجتماعية مع أولياء أمور الطلبة.

9 – القدرة على تنظيم البيئة الصفية، تنظيماً يسمح باستفادة الطلبة ومشاركتهم جميعاً.

10 – القدرة على تكييف الوسائل التعليمية بما يتلاءم مع محتوى الأهداف، ومستوى الطلاب، ومستوى الاستشارة الحسية للجميع.

11 – القدرة على بث الثقة في نفوس الطلاب من خلال:

أ- ثقة المعلم بنفسه تنعكس على الطلبة.

ب- مدح الطالب ضعيف الثقة أمام الآخرين.

جـ- تجنب جعل الطالب ينتقد نفسه، وعدم تهديده أو تخويفه.

د- إخبار الطلاب أن المعلم أب لهم، ويحبهم، والنظر في عيني الطالب إذا سأل المعلم أو أجابه.

المراجع

1. الإعاقة السمعية، جمال محمد الخطيب، المكتبة الوطنية، عمان، 1997م.
2. الإعاقة السمعية، ماجدة عبيد، دار الهديان، الرياض، 1992م.
3. رعاية المعوقين سمعياً وحركياً، بدر الدين عبده ومحمد السيد حلاوة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2001م.
4. السامعون بأعينهم الإعاقة السمعية، ماجدة السيد عبيد، دار الصفاء للنشر، عمان، 2000م.
5. صعوبات التعلم، سامي ملحم، دار المسيرة، عمان، 2006م.
6. صعوبات التعلم لدى الأطفال، كريم الناجي، دار أسامة، عمان، 2005م.
7. القراءة مهاراتها ومشكلاتها في المدرسة الابتدائية، فهيم مصطفى، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1998م.
8. نافذة على تعليم الصم، سمير دبابنة، مؤسسة الأراضي المقدسة للصم، السلط، 1996م.

مواقف وعلاقات

نظرة الإسلام إلى الآخر في مناهج كليات الشريعة والدراسات الإسلامية

د. سعيد القيق/ عميد كليتي الدعوة وأصول الدين والدراسات القرآنية ـ جامعة القدس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، أما بعد؛

فقال تعالى: {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}.(1)

إن كليات الشريعة بشكل عام، وبخاصة في كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة القدس، تتمثل رسالتها في إعداد مفكرين ومربين، ودعاة مخلصين ومبدعين قادرين على الدعوة إلى الله وفق أسس منهجية سليمة والمساهمة في حل المشكلات الفكرية والثقافية والاجتماعية التي تمر بها مجتمعاتنا المعاصرة، والاطّلاع على ثقافة العصر ومعطياته الحضارية، والتفاعل معها، إلى غير ذلك من الأهداف والغايات السامية والنبيلة، التي تعود على المجتمع الفلسطيني بالنفع والخير، وتساهم في وحدته وتضامنه.

ولتحقيق هذه الأهداف فقد وضعت الكلية في خطة الطالب الدراسية مجموعة من المساقات، وحددت المصادر والمراجع المناسبة لها، ومن هذه المساقات؛ العلاقات الدولية في الإسلام، الأخلاق في الأديان، الأديان دراسة مقارنة، الفِرَق الإسلامية، حقوق الإنسان في الإسلام، الأقليات في المجتمعات الإنسانية، الإسلام والآخر، المذاهب والتيارات الفكرية

المعاصرة، وغيرها من المساقات الفقهية والفكرية والتربوية.

يتعرف الطالب من خلال هذه المساقات على قضايا معاصرة ومستجدة عديدة، تكون مثاراً للنقاش والتأمل والتحليل، وقد أخترت من هذه القضايا المعاصرة والمهمة قضية الإسلام والآخر، وسوف أقوم ببيان من هو الآخر في نظر المسلمين، وكيف تعامل الإسلام معه، من حيث الاعتراف بحقه الإنساني في الحياة والحرية، ثم توضيح كيف ينظر الآخر إلى الإسلام والمسلمين، في محاولة لتوضيح الرؤى المختلفة للتيارات الدينية والعقائدية.

فمن هو الآخر؟ سؤال شغل بال كثيرين من علماء الاجتماع، ذلك أن تحديد الآخر يتحدد بموجب الاختلاف الذي يفرق بين الأنا وهذا الآخر، فإذا كان بعضهم يحددون الآخر على أساس عرقي أو جنسي، فهناك من يحدده على أساس لغوي أو عقائدي، وعندما نتحدث عن الآخر بالنسبة إلى المسلمين، يجب أن نبين أن جميع البشر متساوون أمام الله، فينبغي أن لا يميز بينهم على أسس عقائدية أو مذهبية أو طائفية.

فاختلاف الآخر عن جوهر التوحيد، أو ابتعاده عنه، أو حتى إنكاره لوجود الله، لهو أمر بين هذا الآخر وبين الله عز وجل، فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

وعليه؛ فإن علاقة المسلم بالآخر، تتحدد وفقاً لموقفه من المجتمع الإسلامي، فإذا كان معادياً للمجتمع الإسلامي سواء كان يعيش داخله أم خارجه، وجب على المسلمين التصدي له ومعاملته بالمثل، وإذا كان محافظاً على سلامة المجتمع الإسلامي لا يسعى للفتنة، أو إضعاف هذا المجتمع، وجب على المسلمين احترامه، بل حمايته وإقامة علاقة ودية معه، والبر به، والإقساط إليه.

فالدين الحنيف لا يقر اتخاذ مواقف عدائية مسبقة تجاه الآخر على أساس عرقي أو ديني. ففي القرآن الكريم آيتان في سورة الممتحنة تشكلان إطاراً عاماً متوازناً تحدد علاقة المسلمين بغيرهم، في رؤية أخلاقية منصفة لطرفي التعامل مسلمين وغير مسلمين، جوهرها

نسالم من يسالمنا، ونعادي من يعادينا، فيقول تعالى: {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}. (2)

وقد تعامل غالبية حكام المسلمين الذي طبقوا ما أمرهم الحق به وفق ذلك، أما حالات الاضطهاد التي تعرض لها الآخر في عصور وعهود معينة، فهي حالات استثنائية صدرت عن مسلمين أساءوا فهم الدين الحنيف، أو عن حكام تميزت عهودهم بالظلم، حيث ظلم الآخر والمسلمين على حد سواء، وعندما نريد أن نحدد حقوق الآخر التي أقرها الإسلام، أو المبادئ والقواعد التي حددها الإسلام لتحكم العلاقة بين المسلمين والآخر، فمرجعنا في هذا القرآن الكريم والسنة النبوية، مع التدقيق في الاجتهاد.

فما كان يصلح بالأمس في ظل ظروف معينة يجب إعادة النظر فيه في ظل الظروف الراهنة؛ ذلك أن الشريعة الإسلامية مستوحاة من وحي إلهي ثابت، تميزت عن الفقه الذي هو اجتهاد إنساني في إطار الشريعة الإسلامية، فهي -أي الشريعة- : (دين وأصول وثوابت)، بينما الفقه متطور؛ لأنه فروع تواكب مستجدات الزمان والمكان والوقائع والمصالح. (3)

وبالنظر في الكتاب والسنة نستطيع أن نضع أيدينا على عدد من القواعد الأساسية التي تحدد هذه العلاقة، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}. (4)

هذا الخطاب الإلهي لم يوجه للمسلمين فقط، بل للبشرية كافة؛ ليعلم الناس أنهم أخوة، فلا يجوز للإنسان أن يستعلي على أخيه الإنسان، وإذا كان للإنسان أن يتمايز على إنسان

آخر فبالتقوى فقط، والرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، يذكر الناس، بقوله: (كلكم لآدم وآدم من تراب)، فلا شرعية إذاً للتفاخر بالأنساب والآباء، ما دام أصل النوع واحد.

لكننا للأسف ما زلنا نرى بعض الشعوب والأجناس التي تستعلي على شعوب وأجناس أخرى، بسبب لون البشرة، بل تحقر من شأنها، وإذا كان العهد القديم قد ذكر قصة الخلق وأشار لأصل البشرية، فإنه سرعان ما اختص بني إسرائيل بكل المزايا، واعتبر غيرهم (أغياراً)، في منزلة الخدم والمسخرين لخدمة شعب الله المختار...، فإن القرآن قد حارب هذه العنصرية.

ويذكر القرآن في أكثر من موضع أن صراع البشر ليس مع بعضهم بعضاً، ولكن مع الشيطان، وأن البشر إما أن يكونوا طائعين لله، فيستحقون رحمته، أو طائعين للشيطان، فيصيبهم سخط من المولى عز وجل.

وإذا كان الآخر بالنسبة إلى المسلم هو غير المؤمن، فإن إيمان المسلم أمر بينه وبين ربه، ولا يجوز للمسلم أن يستعلي بإيمانه على الآخر.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.(5)

بل إن الحق يحذر المؤمنين من التفاخر بالإيمان والاستعلاء به، فيقول سبحانه: {فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}.(6)

ويقول تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}.(7)

ويقول تعالى أيضاً: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ}.(8)

إظهاراً للنظرة الإنسانية للإسلام، فالحق تعالى كرم الإنسان بشكل عام، وجعله خليفة في الأرض، وهذا التكريم يتنافى بالطبع مع احتقار الآخر، أو قتله دون ذنب موجب، أو استحلال ماله وعرضه دون حق.

فكون الإنسان إنساناً يسبق كونه مؤمناً أو كافراً، لذلك يجب على المسلم أن ينظر للآخر أولاً باعتباره إنساناً مثله، ثم ينظر إليه بعد ذلك، باعتباره مؤمناً أو غير مؤمن، ثم باعتباره صديقاً أو عدواً.

ثانياً: خصص الله عز وجل سورة كاملة هي سورة الكافرون، قرر فيها مبدأ مهماً هو حرية العقيدة، حيث قال تعالى:

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}.(9)

وإذا كان الخطاب هنا موَّجهاً للكافرين الذين ينكرون البعث والحساب، فهو أيضاً يقر لهم حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر والطقوس الدينية، والتي يعترض الإسلام على بعضها.

ثالثاً: قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}(10)، لقد كان الرسول، صلى الله عليه وسلم، أشد الناس حرصاً على هداية الناس إلى الإسلام، ليس طمعاً في زعامة أو رئاسة، ولكن تلبية لأوامر ربه في التبليغ، ورغم هذا بين الله تعالى أن له حكمة في اختلاف البشر، وأن هذه الحكمة توضح سنة الله في خلقة، فالاختلاف والتنوع بين البشر سنة إلهية دائمة حتى تقوم الساعة، فالحق سبحانه منح الإنسان حرية الاختيار، وبين له السبيل، ولو أراد المولى عز وجل هداية البشرية كلها لأصبحت مؤمنة بقول كن فيكون، لكن الاختلاف والتنوع آية من آيات الله ليعرف الإنسان الخير والشر، والحق والباطل، ويحاسب الناس على اختيارهم خيراً كان أم شراً.

ولقد استوعب رسول الرحمة هذه السنة الإلهية، واستوعبها أغلب المسلمين، فلم يجدوا

حرجاً في أن يعيشوا مع من يخالفهم العقيدة أو بينهم. هذا القبول بالآخر والقبول بسنة الله في الاختلاف لم تعرفه أوروبا في العصور الوسطى، رغم كل ما تنادي به الديانة المسيحية من محبة، فقد تخلصت أوروبا من غير المسيحيين بالطرد والقتل، بل تخلصت من مسلمي الأندلس الذين اعتنقوا المسيحية.

رابعاً: إذا كان لوسائل الإعلام الحديثة من أفضال كثيرة على البشرية، فإن لها آفة قد ترجح أفضالها، هذه الآفة هي التعميم، فالحديث عن مجتمع أو جماعة ما، يصبح أكثر سهولة حين نطلق الأحكام العامة، فمن السهل مثلاً أن نقول إن اليابانيين عمليون، أو أن الفرنسيين عاطفيون، وأن الأمريكيين برجماتيون، حتى وإن كانت هذه الأحكام تصدق على الغالبية العظمى من أبناء هذه الأمة أو ذلك المجتمع، فإن الاستثناء قد يزداد في وقت ما، فيصبح أغلبية الأمريكيين عاطفيين، وليسوا برجماتيين عندما يخص الأمر أبناءهم.

فمن الظلم أن نعامل الإسلام باعتباره مسؤولاً بشكل مباشر أو غير مباشر عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر، مثلما من الظلم أن تعامل الديانة المسيحية بنفس المنطق، باعتبارها مسؤولة عن الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش.

إن الحق سبحانه وتعالى يشدد على أن كل إنسان مسئول عن أفعاله، فلا يتحمل أحد ذنب أحد أو جرمه، {وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}.(11)

فكيف يوصف دين أو عقيدة بأنه دين الإرهاب، أو دين دموي، أو يحض على الكراهية لمجرد أن بعض من ينتسبون إليه قاموا بعمل إرهابي، أو سفكوا دماً بغير وجه حق؟!!

إن بناء مثل هذه الانطباعات السريعة عن الإسلام دون التثبت من حقيقة الإسلام وتعاليمه ومبادئه ظلمٌ للإسلام وأهله.

في المقابل؛ نجد أن المنهج الإسلامي للتعامل مع الآخر منهج دقيق، يرفض التعميم حتى على الآخر، فالأحكام العامة غالباً خاطئة، والحديث عن أهل ملة أخرى مخالفة يجب أن يتم

بموضوعية، وهذا الإنسان سواء كان مسيحياً، أم يهودياً، أم مجوسياً، ربما يختلف عن أبناء ملته في السلوك، وربما يختلف بحكم تربيته، وقدراته العقلية، ونظرته الموضوعية للأمور، يقول الله تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ}.(12)

إنه إقرار إلهي يلزم المسلمين في كل زمان ومكان بالإيمان به، والتصرف وفقاً لما يقتضيه، فلا أستطيع كمسلم أن أقول أن هذا المسيحي غير أمين، أو ذاك اليهودي منافق ما لم أقم البينة والدليل على ذلك، حتى وإن ثبتت التهم السابقة على هذا أو ذاك، فهذا لا يعني تعميم الأحكام، فالإنسان في المنظور الإسلامي يتحمل هو فقط نتيجة أفعاله، قال تعالى: {مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}.(13)

وهذا ينطبق على المسلم وغير المسلم، فلا يجوز معاقبة إنسان بذنب آخر، مهما كان قريباً له أو منه.

خامساً: قال تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ}.(14)

ويقول عز وجل في سورة يونس: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}.(15)

ويقول تعالى في سورة النحل: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}.(16)

تحدد هذه الآيات الكريمة للنبي، صلى الله عليه وسلم، أسلوب الدعوة إلى الله، وهي دعوة تتسم باللين والرفق والمناقشة، ولا تحقر من شأن الآخر.

وهذا الخطاب وإن كان موجهاً للرسول، صلى الله عليه وسلم، فهو يسري على باقي المسلمين، ويجب عليهم، فالمسلم عليه حق الدعوة إلى الله أن يبلغ رسالة التوحيد إلى الآخر، دون أن يجبره على الإيمان، أو أن يخاطبه بأسلوب غير لائق، فليس للمسلم حق محاسبة الآخر على معتقداته.

سادساً: إذا كان الإسلام قد رفض تعميم الأحكام على الآخر، وأقر حقه في الحياة، وحرية الاعتقاد والعبادة، فإنه -كما أشرنا- رفض عزل الآخر داخل المجتمع الإسلامي، ورفض معاملته بعداء؛ لأنه مختلف في العقيدة، فأمر العقيدة متروك إلى الله.

وقد ذهب الإسلام شوطاً آخر لإقامة جسور التواصل والتعاون معه بالود والإقساط إليه، يقول تعالى: {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}.(17)

سابعاً: إذا كان الإسلام قد احترم حق الآخر في الحياة والعقيدة، وحفظ له كرامته وإنسانيته، فإنه أنزل أهل الكتاب منزلة خاصة، لم ينزلهم مثلها أي دين أو عقيدة.

فرغم أن الإسلام يختلف عن اليهودية والنصرانية، إلا أن الحق تعالى اشترط على المسلم الإيمان برسل أهل الكتاب وكتبهم، وهو شرط لا يكتمل إيمان المسلم بدونه، قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}(18). كما أمر الحق المسلمين بمناقشة أهل الكتاب بالحسنى: {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.(19)

ورغم حالة العداء التي قوبل بها الإسلام من يهود المدينة والمحيطين بها ومن جيوش الروم ومن والاهم من نصارى الشام، إلا أن الإسلام لم يغير نظرته من أهل الكتاب، بل طالب بالاتفاق معهم على مجموعة من العقائد والأخلاقيات التي تضمن تحقيق الحد الأدنى من الود والتفاهم، قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}. (20)

قضية الجزية والحقوق السياسية والمواطنة للآخرين في الدولة والمجتمع الإسلامي:

قبل أن نتطرق لهذه القضايا الشائكة لابد أن نعود للتاريخ، فقبل ظهور الإسلام وانطلاقه من جزيرة العرب، وقبل اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وانضمام عناصر كثيرة من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، فكيف كان حال أبناء المستعمرات في العراق والشام ومصر وغيرها من الأمصار المستعمرة من قبل الدولتين العظميين؟

كان غزو هذا البلد أو ذاك واحتلاله بالقوة يعني أن البلد بكل ما فيه من أرض وممتلكات، ومن فيه من بشر صار ملكاً لكسرى أو قيصر، إن شاء نكل بأهل البلد، أو صيرهم عبيداً، وكانت المواطنة حقّاً وميزة، لا يتمتع بها إلا أبناء الفرس والروم، والضرائب تفرض على أبناء المستعمرات دون أن يحق لهم الاعتراض أو التحفظ، وكان المواطنون الرومان أو الفرس مميزين بمكانة ومنزلة عن سائر السكان.

وكان أبناء المستعمرات محرومين من الانخراط في سلك الجندية، وإذا حدث فإنه يتم تجنيدهم في بلاد أخرى غير بلادهم.

في ذلك العصر خرج المسلمون من جزيرة العرب ليفتحوا الأمصار، فهل فعل في أهل الأمصار مثلما فعل الفرس والروم ؟؟ إن التاريخ يقول: إن الأجهزة الإدارية في الولايات التي فتحها المسلمون كان أغلب العاملين فيها من أبناء هذه الولايات، وسواء من اعتنق منهم الإسلام، أم من لم يعتنقه، وفي مراحل تالية تبوأ عدد من المسيحيين واليهود مناصب قيادية، (كالوزارات مثلاً) في عدد من الدول الإسلامية، لدرجة أن (آدم متيز) تعجب لكثرة غير المسلمين في المناصب القيادية في الدولة الإسلامية، قائلاً: كان النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد المسلمين، ولعل في هذا أبلغ رد على الذين يقولون إن الإسلام يحرم الآخر من حقوقه السياسية، فكيف نتحدث عن حق المسيحي أو اليهودي في الانتخاب، أو الترشيح لمجلس نيابي، وقد كان من اليهود والنصارى رؤساء وزارات في

دولة كان الدين فيها هو العنصر الرئيس الذي يستمد منه الحكم الشرعي، وقبل ذلك كله فإن وثيقة المدينة التي كتبها الرسول، صلى الله عليه وسلم، لهي أبين دليل وبرهان على منح الإسلام حق المواطنة والحقوق السياسية للآخر المقيم في المجتمع والدولة الإسلاميين.

والتي كان من نصوصها أن يهود بني عوف يكونون أمة مع المسلمين، ولكل فريق حق الاعتقاد، والحقوق المدنية كافة، إلا ما يهدد سلامة المدينة وأمنها، أو يفتت هذه الوحدة، فهل بعد ذلك حديث عن نفي الإسلام لحقوق الآخر في المواطنة، وممارسة حقوقه السياسية؟

أما الجـزية فهي في حقيقتها بدل للدفاع والحماية، ويفرض الإسلام الجزية على غير المسلمين في مقابل فرض الزكاة على المسلمين حتى يتساوى الفريقان؛ لأن المسلمين وغير المسلمين يستظلون براية واحدة، ويتمتعون بجميع الحقوق، وينتفعون بمرافق الدولة بنسبة واحدة، ولذلك أوجب الله الجزية للمسلمين نظير قيامهم بالدفاع عن غير المسلمين وحمايتهم، والدفاع عن أعراضهم، وأموالهم، ودور عبادتهم، وحرياتهم في البلاد الإسلامية التي يقيمون فيها، ولهذا تجب بعد دفعها حمايتهم، والمحافظة عليهم، ودفع من قصدهم بأذى،(21) بمعنى أنه إذا أتيح لأهل الذمة المشاركة في دفع العدو، فلا تؤخذ منهم جزية.

بل أكثر من هذا، وهو ما تم العمل به على أرض الواقع أنه إذا شُغلت قوات الدولة المسلمة وجيوشها التي يعيش أهل الذمة تحت رعايتها، وعجزت عن حمايتهم، فإنها ترد إليهم ما سبق أخذه منهم من الجزية، وهذا ما حصل بالفعل من القائد أبي عبيدة عامر ابن الجراح، حيث رد على أهل حمص الجزية التي أخذها منهم عندما اضطر للانسحاب من المدينة بعد حشد الروم لجيوشهم ضد المسلمين، أيضاً صالح أبو عبيدة أهل السامرة بالشام على إسقاط الجزية عنهم، مقابل أن يكونوا عيوناً للمسلمين وأولياء لهم.

كما أن الذين تنطبق عليهم شروط الجزية ليسوا سوى الذين تنطبق عليهم شروط الجندية؛ هم المطالبون بالقتال في أي بلد إذا ما دقت طبول الحرب، فإذا لم يشتركوا في القتال،

وذهب غيرهم ليصدوا العدوان، ويموتوا في ساحة القتال، فليس ظلماً على الإطلاق أن يدفع القاعدون مقابلاً لهذه الميزة.

ويذهب الكاتب فهمي هويدي إلى أنه ما دام غير المسلمين في الدولة الحديثة يقومون بأداء الخدمة العسكرية، والدفاع عن الدولة مثلهم مثل المسلمين، فبذلك تسقط عنهم الجزية.

ونقول إذا كان بعضٌ المسلمين يتشددون فينفون الآخر، ويقلصون حقوقه التي أقرها الإسلام، لسوء قراءاتهم وفهمهم للنصوص الدينية، وبعض غير المسلمين يتحدثون عن عمد أو حقد أو عن جهل عن قسوة الإسلام على الآخر، حتى إنهم وصفوا المسلم الذي يدافع عن نفسه بأنه إرهابي.

فيكفي ان نضع ما قاله الرحمة المهداة محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، أمام محكمة التاريخ، لنرى هل طالب حاكم أو سياسي أو قائد أو مصلح اجتماعي أهل ملته بما طالب به الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، المسلمين من حسن معاملة الآخر؟ حيث يقول: (أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(22)، فكيف يظلم الإسلام الآخر ورسول الإسلام يحذر المسلمين أنه سيكون خصم من ظلم معاهداً أو ذمياً.

وكان عمر بن الخطاب يسأل عن أحوالهم دوماً، ويقول الشيخ الغزالي: أنه حين طعن في صلاة الفجر، وعلم الجميع أنه ميت، أوصى من سيتولى الخلافة بعده بالذميين، ومنع الأذى عنهم، وعدم تكليفهم مالا يطيقون، وكذلك فعل علي وعثمان والصحابة والسلف الصالح، رضي الله عنهم، معهم.

ولذا؛ صرح بعض الفقهاء أن ظلم الذمي أكثر إثماً من ظلم المسلم، أما من وصل إلى قتله فقد ارتكب كبيرة من الكبائر، حيث روى البخاري في صحيحة عنه صلى الله عليه وسلم:

(مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا، لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً).(24)

وهذا ما أردت أن أوضحه في هذه العجالة، والحديث يطول في هذا الموضوع.

الهوامش

1. فصلت: 34.
2. الممتحنة: 8 – 9.
3. محمد عمارة، الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، مصر، ط1، 2003، ص11.
4. الحجرات: 13.
5. المائدة: 105.
6. النجم: 32.
7. الإسراء: 70.
8. المائدة: 32.
9. الكافرون: 1 – 6.
10. يونس: 99.
11. الزمر: 7.
12. آل عمران: 113 – 114.
13. الإسراء: 15.
14. الغاشية: 21 – 22.
15. يونس: 99.
16. النحل: 125.
17. الممتحنة: 8.
18. البقرة: 285.
19. العنكبوت: 46.
20. آل عمران: 64.
21. السيد سابق، فقه السنة، ط1، 2000، المجلد الثالث، ص 49.
22. سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، وصححه الألباني.
23. الغزالي، الحق المر، ص109.
24. صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم.

مواقف وعلاقات

هجرة المسيحيين تقلق المسلمين وتشكل خسارة كبيرة للشرق الأوسط

بقلم: الدكتور حنا عيسى / أستاذ القانون الدولي

إن استمرار الصراع في منطقة الشرق الأوسط قد يؤثر بشكل كبير على حياة المواطنين في هذه المنطقة، وبالأخص استمرار احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينية المحتلة في الرابع من حزيران سنة 1967م، الأمر الذي يدفع العديد من المسيحيين الفلسطينيين للهجرة، فيما يواجه من يقرر البقاء في المنطقة، صعوبات ومضايقات كثيرة، ويؤثر الصراع والاحتلال على ممارسة الشعائر الدينية، وذلك لأن إسرائيل هي التي تتحكم في المناطق التي توجد فيها الأماكن المقدسة للمسيحيين، وتتحكم في الوصول إليها، ولكل هذه الأسباب؛ فإن العديد من المسيحيين يفضل الهجرة من المنطقة.

وفي الآونة الأخيرة تشكل الهجرة الواسعة للمسيحيين العرب ومسيحيي البلدان المشرقية إحدى أهم المخاطر التي تواجهها المنطقة، وذلك بسبب الدور الثقافي الذي يلعبه هؤلاء المسيحيون، كونهم حلقة وصل بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية، واستيعابهم وتفهمهم لكلتا الثقافتين، وفتح إمكانية الحوار بينهما، ولقد كان للثقافة المسيحية المشرقية على مدى تاريخها تأثير متبادل مع الثقافتين الإسلامية والمسيحية

الغربية، ولعبت دوراً في عقلنة التطرف لدى الثقافتين، وتفاعلهما مع بعضهما بعضاً، رغم الظروف القاسية التي تعرضت لها بسبب هذا الدور، لكن ما يهمنا هو التركيز على هجرة المسيحيين العرب، حيث يتمركز الوجود المسيحي في الدول العربية في مصر، ولبنان، وسورية، والعراق، وجنوب السودان، والأردن وفلسطين، أما بقية الدول العربية فإن وجود المسيحيين فيها قد يكون محدوداً، بعضها جاء بقصد العمل، كما في دول الخليج والسعودية، والبعض الآخر من بقايا الاحتلال الفرنسي كما في دول المغرب العربي. أما دخول المسيحية لجنوب السودان؛ فقد جاء عن طريق البعثات التبشيرية، ويتمركز عدد من المسيحيين في الدول المجاورة؛ كتركيا وإيران.

وقبل الخوض في مسببات الهجرة من هذه البلدان لابد من الإشارة إلى أن العلاقات المسيحية – الإسلامية عبر التاريخ تميزت بوجهين:

الأول: يمكن أن يوجه كرسالة إلى العالم، تؤكد على أن العلاقات المسيحية – الإسلامية تاريخياً كانت في المستوى العالي المطلوب، أو بعبارة أخرى مرت هذه العلاقات من حيث طبيعتها وفحواها في أقنية صحيحة، مما أدى إلى خلق مناخ وطني في كل المراحل، خاصة الصعبة منها.

وثانياً: أن بناة هذه العلاقات المميزة وضعوا أسساً لا تتزعزع لعلاقات أقوى حاضراً ومستقبلاً، وقد يكون هذا الوجه الثاني هو الأهم، لأن صفحة الماضي قد طويت، وحتى إذا أساء الواحد إلى الآخر تبقى العبر هي الأهم، لأنها تشكل هذا الأساس لرؤية صائبة تتطلع إلى مستقبل أفضل للعيش المشترك بين المسيحيين والمسلمين.

فإذا عدنا إلى العلاقات المسيحية – الإسلامية بشكل عام، لوجدنا أنها ليست حديثة

العهد، فالمسيحية ببعض رؤاها ومعتقداتها موجودة في آيات واضحة في القرآن الكريم.

أما حول حرية الشعائر وممارستها لدى المسيحيين، ومكانتهم في المجتمع، ودورهم في بنائه، فنجد أن القرآن يوصي بحماية بِيعّهم، والتشديد على أن ذكر الله هو دائم في صلواتهم.

ومما لا شك فيه أن العلاقات بين المسيحيين والمسلمين لا يمكن أن تكون مميزة إلا على مبدأ المساواة، فالعدالة هي الأساس التي تمنح الحرية الكاملة لكل المؤمنين، والقرآن الكريم بيّن أن المساواة والعدالة بين الناس، ليست فقط في الشعارات التي ينادي بها الناس، وإنما مبدأ أساس من الإيمان الذي أراده لكل الشعوب.

ومجمل القول: إن نظرة الإسلام من خلال القرآن الكريم إلى المسيحية واضحة، فهي تبنى على أن: {وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ}(العنكبوت: 46)، فإذا كان القرآن الكريم –وهو الأساس في الإسلام – يحث المسلمين على أن يربطوا علاقات مميزة مع المسيحيين، فهل من أداة أخرى تستطيع أن تغير في رؤية الإسلام إلى المسيحية عبر التاريخ.

ومما لا شك فيه بأن الحروب والأزمات السياسية في منطقة الشرق الأوسط تساهم في تقوية الهجرة، كما هو حالياً في الأراضي الفلسطينية المحتلة، أو في العراق، فإن الذي يحدث حالياً في المنطقة لا يمكن وصفه بهجرة دينية، فهي أصبحت في الآونة الأخيرة هجرة من مناطق الحروب إلى مناطق الأمل، أو الملاذ إلى أماكن آمنة أكثر من الوطن الأم، مثلها مثل هجرة المسلمين الجزائريين منذ الحرب العالمية الأولى والثانية التي هي بهدف البحث عن حياة أفضل.

وينطبق هذا أيضاً على المسيحيين السوريين، فهم لا يهاجرون خوفاً على مسيحيتهم، بل بحثاً عن فرص عمل أفضل، لكن الخطر الداهم حالياً هو هجرة تتصاعد منذ عقود

في البلدان التي يشكلون جزءاً أساساً من بنائها الديمغرافي؛ مثل العراق ولبنان ومصر وفلسطين وبلدان أخرى، ومن أسبابها ما جرى من قتل إرهابي ضد المصلين والكهنة في كنيسة النجاة في العراق، والتي راح ضحيتها حوالي ستين قتيلاً، بالإضافة إلى أكثر من مائة جريح، مما حدا بالمواطنين العراقيين الطلب من الحكومة العراقية اتخاذ الإجراءات اللازمة للحد من العمليات الإرهابية التي تقوم بها جماعات متطرفة ضد المساجد والكنائس، أما في فلسطين؛ فتعتبر سياسة المحتلين الإسرائيليين حيال الفلسطينيين، والمسيحيين منهم، بخاصة سبباً رئيساً لهجرتهم، وقد تدهورت أعدادهم بشكل لافت في الأربعين عاماً التي انقضت، وكان انخفاض عدد هؤلاء واضحاً في المدن والقرى المسيحية أو المختلطة مثل القدس، وبيت لحم، ورام الله، واتجه جزء من هؤلاء في البداية إلى البلدان العربية بقصد العمل أو الدراسة أو الإقامة المؤقتة، لكن كثيرين منهم غادروا لاحقاً إلى بلدان الغرب التي شجع العديد منها هجرة المسيحيين إليها، في إطار عملية توطين تمثل جانباً من جوانب حل سياسي لصراع الفلسطينيين مع إسرائيل، علماً بأن عدد المسيحيين في المنطقة العربية يصل إلى ما بين 12 إلى 15 مليون نسمة، غالبيتهم تعيش في مصر، ويتوقع بعضهم أن يهبط الرقم إلى 6 ملايين بحلول عام 2020م، نتيجة موجات الهجرة المتوالية للمسيحيين.

أما نتائج الهجرة المتزايدة التي جاءت بفعل التقلبات السياسية لبلدان الشرق الأوسط، وما خلفته من آثار اقتصادية واجتماعية دفعت الملايين من مسيحيي المنطقة إلى الهجرة، الأمر الذي أسفر عن مجموعة من النتائج السلبية على حياة المنطقة وبلدانها؛ مثل التغييرات في البنية الحضارية والثقافية للمنطقة، والتي كانت في الأساس منطقة تنوع ديني يعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود إلى جانب أتباع ديانات أخرى، وفقدان جزءٍ من طاقاتها وقدراتها البشرية والمادية، وهي طاقات تحتاج إليها في عملية التنمية.

وحول الهجرة من فلسطين، فإننا نرى بأنها تستمر بوتائر سريعة لأسباب متعددة أصلها الاحتلال، وعدم وجود استقرار، وفقدان السلام، واختلال موازين العدالة .. مع العلم بأن المسيحيين جزء أصيل من الشعب العربي الفلسطيني، حيث يبلغ عدد المسيحيين الفلسطينيين في أراضي أل 48 (123,000) نسمة، و(51,250) نسمة في أراضي فلسطين المحتلة سنة 1967م، بما فيها مدينة القدس الشريف، وعلى الرغم من محاولات إسرائيل منذ قيامها التركيز على تهجير المسيحيين وفصلهم عن المسلمين، بهدف تفريغ فلسطين من المسيحيين بزعم أن الصراع ديني، وهو بين المسلمين واليهود، وليس كياناً حقوقياً يتعلق بشعب احتلت أراضيه (مسلمين ومسيحيين ودروز ومن كان فيها من اليهود) وبين مغتصب ومستعمر استيطاني إجلائي.

إن محاولة إسرائيل تصوير الصراع باعتباره صراعاً دينياً، وليس صراعاً حقوقياً ووطنياً وأرضياً، إنما تستهدف عزل المسيحيين عن المسلمين، وتقسيم الفلسطينيين أنفسهم، ليسهل استهدافهم جميعاً، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المسيحي والمسلم والدرزي لا يختلفون مع بعضهم البعض في الدفاع عن الأرض والحقوق والقيم الوطنية والإنسانية.

ولعل اضطرار المسيحيين الفلسطينيين إلى الهجرة من فلسطين بسبب السياسة العنصرية الاستعلائية الإجلائية للاحتلال الإسرائيلي أمر مفهوم، إلا أنه فيما يتعلق بالبلدان العربية والمشرقية الأخرى رسالة سلبية إلى العالم أجمع بأن مجتمعاتنا تضيق ذرعاً بالتنوع الديني والاختلاف الثقافي، سيما لغير المسلمين، ولعل ذلك سيدفع المسلمون ثمنه باهظاً قبل غيرهم، فهو خسارة لطاقات سكان أصليين في بلداننا يشكلون جزءاً من حضارتنا وتاريخ مجتمعاتنا وشعوبنا، ولا يمكن تصور بلدان عربية ومشرقية دون وجود مسيحي مؤثر في المشهد العام.

ولا بد من الإشارة إلى أقوال بابا الفاتيكان في 24 /10 /2010م، عندما قال: (إن السلام سيكون أفضل طريقة لوقف هجرة المسيحيين من الشرق الأوسط، وحث البابا الإسرائيليين والفلسطينيين على الدفع باتجاه السلام في الشرق الأوسط، وعدم اليأس من إمكانية التوصل إلى تسوية، واستخدم البابا لغة واضحة في عظة الأحد: (السلام ممكن، االسلام أيضاً أفضل علاج لتفادي الهجرة من الشرق الأوسط).(www.bbc.co.uk/ar - bic/middleeast/2010/10/101024_pope_mideast.shtm)

وبغض النظر عن الأوضاع المتأزمة في بلداننا العربية، فإننا بحاجة لنشر ثقافة قبول الآخر واحترامه، واستخدام كل الوسائل التربوية والتعليمية والإعلامية والثقافية المتاحة، وهذا يتطلب جهوداً جماعيةً مشتركةً ومنظمةً، بين المسلمين والمسيحيين، وعملاً على أرض الواقع، وعدم الاكتفاء بالخطابات العاطفية -رغم أهميتها-، بل يتطلب أيضاً تحديث الخطاب الديني وتطويره، بحيث يساهم في إعادة اللحمة بين أبناء الوطن الواحد، وإزالة الأحكام والتصورات المسبقة عن الآخر، والسعي للتعلم والفهم عن الآخر.

وفي ضوء ما ذكر أعلاه، فإن هجرة المسيحيين من الشرق الأوسط تساهم في إفقار الهوية العربية وثقافتها وأصالتها، فلا بد من الحفاظ على الوجود المسيحي في الشرق الأوسط، كضرورة إسلامية، بقدر ما هو ضرورة مسيحية، وواجب إسلامي بقدر ما هو واجب مسيحي.

من نشاطات مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء الفلسطينية

إعداد: الأستاذ مصطفى أعرج / نائب المدير العام للعلاقات العامة والإعلام

قام سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، بالعديد من النشاطات والمشاركات على أكثر من صعيد ومجال، منها:

زيارة البحرين ضمن وفد من المؤتمر الوطني الشعبي للقدس

المنامة: قام سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، ضمن وفد من المؤتمر الوطني الشعبي للقدس بزيارة مملكة البحرين، حيث قدم الوفد التهاني لملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، بمناسبة عيد الجلوس والعيد الوطني لمملكة البحرين، وذلك باسم القيادة الفلسطينية وباسم الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، ووضعه في صورة تطورات الأوضاع الفلسطينية، والهجمة التي تتعرض لها مدينة القدس المحتلة، كما شكر مملكة البحرين على الرعاية المميزة للجالية الفلسطينية والسفارة الفلسطينية،

كما التقى الوفد معالي الشيخة مي بنت محمد آل خليفة، وزيرة الثقافة البحرينية، لبحث موضوع التوأمة بين برنامجي القدس عاصمة دائمة للثقافة العربية، والمنامة عاصمة للثقافة العربية للعام 2012، كما التقى معالي السيد خليفة الظهراني، رئيس مجلس النواب البحريني، حيث دار الحديث عن سبل التعاون المشترك، كما ألقى سماحته خطبة الجمعة في مسجد الشيخة سبيكة الأنصاري (الجامع الكبير في مدينة عيسى) حضرها العديد من الشخصيات الرسمية والشعبية والسفراء العرب، وقد تحدث سماحته عن الوضع الصعب الذي تعانيه القدس والمقدسات الفلسطينية بسبب الممارسات الإسرائيلية.

المفتي العام يشارك في مؤتمر (الديانات لأجل السلام) في المغرب

مراكش: شارك سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، في فعاليات اجتماع الأمانة العامة لهيئة الشرق الأوسط في مجلس الديانات من أجل السلام، الذي عقد في المغرب، وقدم سماحته مداخلة حول التعايش المشترك بين أتباع الديانات، أشار فيها إلى سماحة الإسلام وعدله، وعدم تمييزه بين الناس في الحقوق والواجبات، وكيف أنه حرّم الاعتداء على المصلين، ودعا إلى احترام حق غير المسلمين في العبادة حسب معتقداتهم، وبيّن أن التعايش بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين أنموذج يحتذى به في العالم

أجمع، وأن كل مواطن يحصل على حقوقه دون تمييز في الجنس والدين، وشارك في المؤتمر العديد من العلماء من الدول العربية والإسلامية، وأطلعهم سماحته على الانتهاكات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني ومؤسساته، داعياً إلى ضرورة احترام حرية العبادة في فلسطين، والعمل على إزالة الاحتلال عن القدس وفلسطين المحتلة.

المفتي العام يؤكد على أهمية دور القيادة الدينية في دعم القرار الفلسطيني بالتوجه إلى الأمم المتحدة

بيت لحم: أكد سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، على أهمية دور القيادة الدينية في دعم القرار الفلسطيني بالتوجه إلى الأمم المتحدة وإلى مؤسساتها المختلفة، بهدف الحصول على عضوية فلسطين الكاملة في هذه المنظمات والمؤسسات الدولية، خاصة في ظل الدعم الدولي الملحوظ لحقوق الشعب الفلسطيني، وتنصل حكومة الاحتلال الإسرائيلي من التزاماتها في الاتفاقات والقرارات الدولية، ومواصلتها لسياسة بناء جدار الفصل العنصري، والاستيطان، وتهويد القدس، والاعتداء على المقدسات الإسلامية والمسيحية، جاء ذلك خلال مشاركة سماحته في لقاء نظمه مركز السبيل ومركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأراضي المقدسة، تحت شعار(العيش المشترك في الدولة القادمة) في بيت ساحور، وأكد الحضور على أهمية تعزيز الروابط بين أبناء الشعب الفلسطيني،

وتعميق الحوار فيما بينهم، وحضر اللقاء العديد من الشخصيات الرسمية والشعبية والدينية الإسلامية والمسيحية.

المفتي العام يشارك في تكريم أسرى الداخل المفرج عنهم من سجون الاحتلال

الجولان المحتل: ضمن وفد مقدسي، ضم العديد من الشخصيات الرسمية والشعبية، قام سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، بتقديم التهاني للأسرى الفلسطينيين المفرج عنهم من سجون الاحتلال في أراضي عام 48 المحتلة، وقال سماحته: إنه ليس بوسع أي فلسطيني إلا أن يقف إجلالاً واحتراماً أمام معتقلينا البواسل، الذين كانت لهم القدرة دوماً على توحيد الهم الفلسطيني، فالأسير الفلسطيني كان دائماً يقف كالجبل الأشم، سماته الشموخ والفخر بمبادئه ووطنه وقضيته.

وأضاف: إن فلسطين أرض مباركة تستحق منا جميعاً التضحيات، وقدرنا أن نكون حلقة في سلسلة الرباط منذ الفتح العمري، وحتى وقتنا الحاضر، وما من شك أن فلسطين أرضاً وشعباً، قد أكدت على وحدتها من خلال صفقة تبادل الأسرى مع سلطات الاحتلال الإسرائيلي، مما يعني أن الشعب الفلسطيني شعب واحد، رغم تصنيفات الاحتلال.

المفتي العام يخاطب البوسنة والهرسك للتصويت لصالح فلسطين في الأمم المتحدة

القدس: ناشد سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، وعدد من رجال الدين دولة البوسنة والهرسك للتصويت لصالح فلسطين في مجلس الأمن، لدعم طلبها في الحصول على العضوية في الأمم المتحدة.

وقال سماحته: إننا نطالب البوسنة والهرسك لتقف إلى جانب الحق الفلسطيني والعدالة الإنسانية، موجهين رسالة من الأرض المقدسة، ومن قلبها القدس، مهد الرسالات، إلى شعب البوسنة والهرسك وحكومتهم، للوقوف إلى جانب طلبنا العادل، بالتصويت لجانب قبول دولة فلسطين عضواً في الأمم المتحدة.

خلال مشاركته في مؤتمر صحفي في مقر الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات

المفتي العام يحذر من مخططات سلطات الاحتلال ضد المسجد الأقصى المبارك

رام الله: حذر سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، من وجود مخطط إسرائيلي خطير يستهدف المسجد الأقصى المبارك، وخاصة منطقة حائط البراق والجدار الغربي الجنوبي للمسجد، جاء

ذلك خلال مؤتمر صحفي نظمته الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات، والمؤتمر الوطني الشعبي للقدس، تحت عنوان (البراق بين الإدعاءات الصهيونية وحقائق الاكتشافات)، واستنكر سماحته إعلان سلطات الاحتلال عن مخطط لإنشاء كنس يهودية تحت الأرض تخصص (للمصليات اليهوديات) أسفل منطقة مدخل باب المغاربة، وأضاف أن هذا المخطط جزء من عملية التهويد الشامل لمنطقة البراق، فوق الأرض وأسفلها، مبيناً أن سلطات الاحتلال بدأت بهدم طريق باب المغاربة منذ العام 2007م، وأنها تعمل حالياً على استبدال الجسر القائم بجسر جديد، لتمكين سلطات الاحتلال من اقتحام المسجد الأقصى المبارك، وناشد سماحته الأمتين العربية والإسلامية، حكاماً وحكومات وشعوباً، ضرورة حماية المسجد الأقصى المبارك مما يتهدده من أخطار حقيقية.

المفتي العام يطلع السفير الألماني على انتهاكات سلطات الاحتلال ضد المقدسات الفلسطينية

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، بحضور فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله، الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، مفتي محافظة رام الله والبيرة، كلاً من السيد

غوتز لينغتتال السفير الألماني لـدى السلطة الوطنية الفلسطينية، يرافقه الملحق السياسي ايكه بولسباخ، حيث وضـح سماحته خطورة الانتهاكات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، مبيناً أن المسجد الأقصى المبارك بأروقته وساحاته ملك للمسلمين، ولا يحق لأحد غيرهم التدخل في شؤونه أو إدارته، وطالب سماحته بوضع حد للممارسات الإسرائيلية في القدس، التي تعتبر أرضاً محتلة حسب القانون الدولي، فممارساتها الفردية فيها باطلة ويجب إلغاؤها، وحمّل سماحته سلطات الاحتلال عواقب انتهاكاتها لحرمة المقدسات، وأكد سعادة السفير على أن الموقف الألماني مما يجري، جزء من موقف الاتحاد الأوروبي الخاص بالقدس، وقضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي الداعي إلى ضرورة إيجاد حل سلمي له، وشكر سماحته على حسن الاستقبال والاستضافة.

المفتي العام يستقبل السفير المصري

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك في مكتبه، سعادة السفير ياسر عثمان، سفير جمهورية مصر العربية لدى السلطة الوطنية الفلسطينية، حيث أشاد سماحته بالدعم المتواصل الذي تقدمه جمهورية مصر العربية قيادة وشعباً للشعب الفلسطيني، مما يدعم صموده

والتخفيف من معاناته، وقدم سماحته شرحاً عن الانتهاكات التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد المقدسات الإسلامية، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، والتي كان آخرها إغلاق جسر باب المغاربة والتهديدات الإسرائيلية بهدمه، وحذر سماحته من تداعيات سياسة الاعتداءات على دور العبادة التي شملت المساجد والكنائس حسب ما شهدته مدن وقرى فلسطينية عدة في الآونة الأخيرة، على أيدي المتطرفين والمستوطنين، مبيناً أن هذه الانتهاكات خطيرة، وتنذر بصراعات دينية صعبة، مما يتوجب على الأمة العربية والإسلامية التدخل العاجل لاتخاذ التدابير اللازمة لوقفها.

من جانبه شكر السفير المصري سماحته على حسن الاستقبال، مؤكداً على عمق العلاقة بين الشعبين المصري والفلسطيني، وعلى ضرورة حل القضية الفلسطينية حلاً عادلاً وشاملاً ومشرفاً.

خلال استقباله وفداً اسكتلندياً مسيحياً

المفتي العام يدين اقتحام المسجد الأقصى المبارك

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، في مكتبه وفداً اسكتلندياً مسيحياً رفيع المستوى، شرح لهم سماحته صورة الممارسات التي تقوم بها سلطات الاحتلال ضد المقدسات الإسلامية والمسيحية التي تمثلت في حرق المساجد والاعتداء على الكنائس في القدس وفلسطين بشكل عام، مستشهداً بما يحدث من تضييق للخناق على المصلين الذين يؤمون المسجد الإبراهيمي في الخليل، وبما قامت به مجموعات متطرفة من المستوطنين باقتحام ساحات المسجد الأقصى المبارك صباح اليوم الخميس 22 /12 /2011م، تحت أعين سلطات الاحتلال، التي توفر لهم الأمن والحماية للقيام بأعمال العربدة في باحاته وساحاته، وبيّن

سماحته أن هذه السلطات تتحمل عواقب هذه الانتهاكات التي ازدادت شراسة في الفترة الأخيرة، حيث إن المستوطنين يحرقون أماكن العبادة، ضمن مسلسل متلاحق الحلقات، وأن سلطات الاحتلال تفرض حصاراً مشدداً على المدينة المقدسة، وتحول دون وصول معظم المسلمين والمسيحيين إلى أماكن العبادة في القدس، بما يتعارض مع القوانين والشرائع والأعراف الدولية، مبيناً أن الإسلام دين تسامح، وأنه ضمن حرية العبادة لأصحاب الأديان، مشيداً بالتعايش الإسلامي المسيحي في فلسطين، الذي يعدُّ مثالاً يحبذ أن يحتذى في العالم بأسره.

من جانبه، أثنى رئيس الوفد وأعضاؤه على حسن الاستقبال، وقدموا شرحاً حول الأعمال التي يقومون بها لخدمة الشعب الفلسطيني، داعين سماحته إلى عقد مزيد من اللقاءات، التي تساهم في التعرف على الآراء والأفكار التي يتبناها أصحاب الديانات السماوية.

وجرى اللقاء بحضور فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله، الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، مفتي محافظة رام الله والبيرة، ومحمد جاد الله، مدير عام الشؤون الإدارية والمالية، ومصطفى أعرج، نائب المدير العام لمديرية العلاقات العامة والإعلام.

مجلس الإفتاء الأعلى يدين قرار سلطات الاحتلال إغلاق جسر باب المغاربة

القدس: نيابة عن سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، رئيس مجلس الإفتاء الأعلى، ترأس فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله، نائب رئيس مجلس الإفتاء الأعلى، جلسة المجلس الثالثة والتسعين، وذلك بحضور أصحاب الفضيلة المفتين والعلماء أعضاء المجلس من مختلف محافظات الوطن.

وقد أدان المجلس قرار سلطات الاحتلال الإسرائيلي إغلاق جسر باب المغاربة،

معتبراً هذا القرار وهدم الجسر مؤشراً خطيراً لما هو قادم، ومحذراً من النية المبيتة تجاه المسجد الأقصى المبارك، ونبه المجلس إلى أن سلطات الاحتلال تعمل على تهويد منطقة حائط البراق، وطمس كل ما هو عربي وإسلامي، كما أدان المجلس سياسة حرق دور العبادة لدى المسلمين والمسيحيين على حد سواء، واصفاً هذا التعدي بالبربري، وحمل سلطات الاحتلال المسؤولية الكاملة عن هذه الاعتداءات، مبيناً أنها لم تعمل بجدية على اعتقال هؤلاء المتطرفين، أو منعهم من القيام بأعمالهم الإجرامية بحق دور العبادة، والتي كان آخرها حرق مسجد النور في قرية برقة، ومسجد عكاشة في القدس، وكنيسة المعمدانية في الأغوار، بالإضافة إلى الاعتداء المتواصل على طلاب المدارس والمواطنين، وحرق مركباتهم، واقتلاع الأشجار الفلسطينية، إضافةً إلى نية سلطات الاحتلال منع

مواطنون ومفتي محافظة رام الله ومحافظها ورئيس مجلس برقة والمدير العام للشؤون الإدارية والمالية في دار الإفتاء في مسجد النور في برقة

رفع الآذان من المساجد، وبيّن المجلس أن مثل هذه التصرفات تجر المنطقة إلى حرب دينية تتحمل سلطات الاحتلال عواقبها.

كما أدان المجلس تصريحات المتطرف (نيوت غينغريتش). الذي يتنافس على ترشيح الحزب الجمهوري للرئاسة الأمريكية، بسبب إساءته للشعب الفلسطيني بصلافة ووقاحة تنم عن جهل بالحقائق، ودعا المجلس (غينغريتش) إلى دراسة حقائق التاريخ قبل التلفظ بمثل هذه التصريحات، التي تعبر عن النظرة العنصرية تجاه الشعب الفلسطيني، وتزيد من نار البغضاء والكراهية بين الشعوب، وتضر بالسلم العالمي، وتؤجج نار الصراع في المنطقة، وكان المجلس قد ناقش العديد من الموضوعات الفقهية المدرجة على جدول أعمال الجلسة.

مفتي محافظة رام الله والبيرة يؤدي واجب العزاء بالشهيد مصطفى التميمي

القدس: نيابة عن سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، وعلى رأس وفد من دار الإفتاء الفلسطينية قام فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله، الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، ومفتي محافظة رام الله والبيرة، بأداء واجب العزاء بالشهيد مصطفى التميمي في قرية النبي صالح، وبين فضيلته في كلمة ألقاها مكانة الشهداء عند الله سبحانه وتعالى، وأشاد بالشهيد التميمي الذي قضى نحبه منافحاً عن أرضه ووطنه وبلده وشعبه ومتصدياً لسياسة الاحتلال وبناء جدار الفصل العنصري، سائلاً الله أن يتقبله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وضم الوفد محمد جاد الله، مدير عام الشؤون الإدارية والمالية، وياسر حماد، مدير دائرة البحوث، وعطا الله فلاحين، مدير دائرة المطبوعات، وحمزة أبو بكر من دائرة الرقابة

الداخلية والمحامي يزن سعادة من الدائرة القانونية، وقدم لذوي الشهيد برقية تعزية من سماحة الشيخ محمد حسين المفتي العام الذي كان متواجداً في مهمة رسمية خارج البلاد.

مفتي محافظة رام الله والبيرة يلتقي وفدا من مركز كارتر

القدس: نيابة عن سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، استقبل فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله، الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، ومفتي محافظة رام الله والبيرة، وفداً من مركز كارتر، ضم مدير المركز ديفيد فايفاش، وناثان ستوك، المدير المساعد، والدكتور روبرت باستر، المشرف على الصراع في الشرق الأوسط، وهرير باليان مدير برنامج حل الصراعات، وروبرت منوكين، مدير مشروع المفاوضات، وتحسين علاونة، مدير مشروع الإصلاح الانتخابي، وأطلع فضيلته الوفد الضيف على الانتهاكات

الإسرائيلية في القدس، وبخاصة ما يحدث في المسجد الأقصى المبارك ومحيطه، وإغلاق باب المغاربة، مما يدل على الإصرار الإسرائيلي على تنفيذ مخطط اليمين المتطرف في إسرائيل، الخاص بالاستيلاء على هذا المسجد، وبناء الهيكل المزعوم، بالإضافة إلى الإجراءات الإسرائيلية، التي تسعى إلى تقليل عدد المصلين المسلمين في المسجد الأقصى، من خلال المضايقات والحصار، مستغلة الانقسام الفلسطيني وانشغال العالم العربي بأوضاعهم الداخلية، وتغاضي كثير من دول العالم المؤثرة عما يجري ضد شعبنا ومقدساته.

وخلال إجاباته عن أسئلة أعضاء الوفد بين فضيلته أن المصالحة بين فئات الشعب الفلسطيني واجب وطني وديني، وأن الشعب الفلسطيني يتطلع إلى تحقيق الوحدة وبخاصة في ظل هذه الظروف العصيبة التي تمر بها القضية الفلسطينية، وأشار فضيلته إلى أن الشعب الفلسطيني يحترم كرامة الإنسان وحقوقه مهما كانت ديانته، أو عرقه أو جنسه، وهذا جزء من ديننا ومبادئنا وقيمنا، وإننا نسعى إلى الحصول على حقوقنا بالطرق السلمية التي تستهدف الوصول إلى الحق والعدل، وفي ختام اللقاء شكر الوفد الضيف فضيلته على حسن الاستقبال وإجابته عن استفساراتهم وتساؤلاتهم، معبرين عن رغبتهم في تحقيق السلام في الشرق الأوسط، إضافة إلى تحقيق المصالحة الفلسطينية.

دار الإفتاء الفلسطينية تشارك في بعثة حج رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة: ترأس فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله، الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، ومفتي محافظة رام الله والبيرة، وفد دار الإفتاء لبعثة حج رابطة العالم الإسلامي، حيث ضم الوفد بالإضافة إلى فضيلته الأستاذ يوسف تيسير، مدير دائرة المعلومات والحاسوب، وفضيلة الشيخ أحمد حسين، مساعد مفتي القدس، وشارك الوفد في المؤتمر العام الذي تعقده الرابطة كل عام، كما التقى بمعالي الدكتور عبد الله التركي، الأمين

جانب من مشاركة وفد دار الإفتاء ورئيس اتحاد المعلمين الفلسطينيين في إحدى الندوات التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي خلال موسم حج هذا العام 1432 هـ

العام لرابطة العالم الإسلامي، حيث قدموا له الشكر على حسن الضيافة، وعرضوا على معاليه مقترحات خاصة بعمل الرابطة، وأخرى تتعلق بتوطيد علاقة دار الإفتاء الفلسطينية برابطة العالم الإسلامي على صعيد المشاركة في مواسم الحج، والبعثات الدراسية، والمشاركة في المؤتمرات والندوات التي تنظمها الرابطة.

مفتي محافظة سلفيت يشارك في الاحتفال بذكرى هجرة الرسول محمد ﷺ

سلفيت: شارك فضيلة الشيخ جميل جمعة، مفتي محافظة سلفيت، بالاحتفال الذي أقامته مديرية أوقاف سلفيت بذكرى هجرة الرسول ﷺ، حيث بيّن فضيلته الدروس المستوحاة من هذه الهجرة، ومنها محبة الرسول ﷺ، والأخذ بالأسباب سبيل لنجاح أي عمل، ودور الشباب في إنجاح هذه الهجرة، وكان فضيلته قد شارك في حفل تكريم العسكري المميز، وكذلك في مهرجان الزيتون الخامس.

مفتي محافظة جنين يشارك في ورشة عمل حول ارتفاع نسبة الطلاق في المحافظة

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب، مفتي محافظة جنين، في ورشة عمل نظمها الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في جنين، ومركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي، بالتعاون مع لجنة ائتلاف تعديل قانون الأحوال الشخصية، في مقر الاتحاد في المدينة، وذلك لمناقشة ظاهرة الطلاق، وارتفاعها بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة، في محافظة جنين، وبيّن الحضور مدى تأثير سوء الأوضاع الاقتصادية على تفاقم هذه الظاهرة، وكذلك فيما يتعلق بتدخل الأهل، وعدم التكافؤ بين الزوجين، والزواج المبكر، وأكد فضيلته على ضرورة العمل على حماية الأسرة الفلسطينية وتماسكها من خلال التوعية الدينية.

مفتي محافظة طولكرم يلقي محاضرة علمية بأئمة المساجد في المحافظة

طولكرم: ألقى فضيلة الشيخ عمار بدوي، مفتي محافظة طولكرم، محاضرة علمية بأئمة مساجد المحافظة، حول(أحكام الجمع بين الصلاتين)، وذلك بدعوة من دائرة أوقاف طولكرم، تطرق فيها فضيلته إلى المسائل الفقهية حول هذه الأحكام، وأجاب عن العديد من الأسئلة التي وجهت إليه حول الموضوع.

مفتي محافظة طوباس يلقي محاضرة حول التسامح

طوباس: ألقى فضيلة الشيخ حسين عمر، مفتي محافظة طوباس، محاضرة بعنوان (**التسامح وتعزيز القيم الدينية في خفض العنف داخل المجتمع**)، وذلك في قاعة المركز النسوي في مخيم الفارعة، بدعوة من المركز الاجتماعي النسوي، كما شارك في حفل تكريم المحسن الكبير الحاج عزت مرعي.

مفتي محافظة نابلس يشارك في حفل يوم المسن العالمي

نابلس: شارك فضيلة الشيخ أحمد شوباش، مفتي محافظة نابلس، في يوم المسن العالمي، الذي أقامته جمعية الهلال الأحمر، كما شارك في حل العديد من الخلافات العائلية والاجتماعية، بالإضافة إلى إلقائه خطب الجمعة، التي دعا فيها إلى نصرة الأسرى، علماً بأن فضيلته يقدم العديد من البرامج الإعلامية والإذاعية في وسائل الإعلام في المحافظة.

مفتي محافظة بيت لحم يدعو لمساعدة أهالي قرية الولجة

بيت لحم: دعا فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة، مفتي محافظة بيت لحم، إلى مساندة أهالي قرية الولجة ضد ممارسات سلطات الاحتلال، التي تعمل على مصادرة أراضيهم لإقامة جدار الفصل العنصري، وقال: إن الاستهداف الإسرائيلي وممارساته القمعية لا تطال المسلمين وحدهم، بل تطال العرب الفلسطينيين مسيحيين ومسلمين، مؤكداً للعالم بأننا شعب واحد موحد، يعيش تحت الاحتلال، وكان فضيلته قد استقبل وفد كنسي، بحث معه التعاون بين أتباع الديانات في إرساء قواعد التعايش في وطننا المقدس، كما شارك في ندوة بعنوان (رأي الإسلام في العنف الموجه ضد المرأة) نظمها المركز النسوي في مخيم الدهيشة، بالتعاون مع وكالة الغوث.

مسابقة العدد 101

السؤال الأول: **من ...؟**

أ. القائل: أمنت لما أقمت العدل بينهم فنمت نوم قرير العين هانيها.

ب. النبي الذي بشرته الملائكة وهو يصلي في المحراب بغلام.

ت. الذي قال لأبي سفيان: (إن كان ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدميّ هاتين).

ث. الصحابي الذي شهد معركة اليرموك مع ابنيه.

ج. المقصود ببيت الشعر: يأبى الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان.

ح. السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

السؤال الثاني: **ما ... ؟**

أ. أحب البلاد إلى الله.

ب. خير متاع الدنيا.

ت. لون الكنزين اللذين أعطاهما الله لرسوله، صلى الله عليه وسلم.

ث. أول ما بدئ به الرسول، صلى الله عليه وسلم، من الوحي.

ج. المصطلح الذي يطلقه الصوفية على أذكار الصباح والمساء التي يأمر الشيخ تلميذه بذكرها.

ح. اسم الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي لعام 1432هـ.

خ. عدد أثواب كفن كل من المرأة والرجل.

د. أسماء النبي صلى الله عليه وسلم كما وردت في الحديث الصحيح.

ذ. تعقيب (آدم متيز) على ما شاهده من تولي المناصب في الدولة الإسلامية.

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: 300 شيكل

الجائزة الثانية: 250 شيكل

الجائزة الثالثة: 200 شيكل

ملحوظتان :

- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 101
مجلة الإسراء / مديرية العلاقات العامة والإعلام
دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب : 20517 القدس الشريف
ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 99

السؤال الأول :

1. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(آل عمران: 200).

السؤال الثاني:

1. لأنها تبكي إليها الإبل عندما تغذُّ إليها السير من مكان بعيد، ولأنها تبكُ أعناق العتاة الذين يريدون لمكة الأذى، أي: تقصمهم.

السؤال الثالث:

1. (من صلى في ليلة بمائة آية لم يكتب من الغافلين، ومن صلى في ليلة بمائتي آية كتب من القانتين المخلصين).
2. أن الدين يقلل من إحساس الفرد بالقلق، وأن العقيدة تحمي الإنسان من اليأس بإعطائه الفرصة، لتأكيد علاقته مع الله واعتماده عليه.
3. الحج المبرور:(الحج الذي وفّيت أحكامه، ووقع موقعاً لما طُلِبَ من المكلف على الوجه الأكمل).
4. يرى الطبري، رحمه الله، أن حقوق العباد يكفرها الحج في حق من تاب وعجز عن الوفاء.
5. مزدلفة وكذلك منى وعرفات، والمشعر الحرام منطقة صحراوية، فقد جعل الله فيه آيات الإعجاز أنه مليء بالحصى، وكأنه منطقة سيول، تفتت فيها الحصى علماً أنها منطقة جدباء.
6. ذو الحليفة (آبار علي).
7. العاكف: المقيم، البادِ: الذي يأتيه من غير أهله.
8. لا يجوز أن يسفك فيها دم حرام، أو يظلم فيها أحد، أو أن يصاد صيدها، أو يختلى خلاها.
9. تمتنع المعتدة عن التطيب، والزينة، ولبس الحلي، والملون، والمصبوغ من الثياب، والخضاب، والكحل، والتعرض للخطاب، والامتناع عن البيتوتة في غير منزل الزوجية.
10. الحج من مال حرام لا يقع مقبولاً عند الله، وهو إما باطل لا يجزئه، كأنه لم يحج عند بعض العلماء، أو أنه لا أجر له عليه، وهو غير مبرور، ويبعد قبوله.
11. الوسط العدل عملية تخلية وتحلية؛ تخلية عن الأوصاف المذمومة، وتحلية بالأوصاف المحمودة، فهو بهذا المعنى استقامة للحق والصدق وهو موازنة واعتدال.
12. قال ابن رجب الحنبلي: (وظاهر هذا الحديث يدلّ على أنّ تصوير الجنين، وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظامه يكون في أول الأربعين الثانية).
13. عيسى قراقع.

الفائزون في مسابقة العدد 99

المرتبة	الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
الأولى	عزام علي جوابرة	طوباس	300
الثانية	غادة عزام صلاح الدين	القدس	250
الثالثة	طالب أحمد علي مطلوب	بيت لحم	200

ضوابط ينبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين وأصحاب الفضيلة العلماء أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملاحظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن 4 صفحات حجم A4 بما يقارب (1500) كلمة، والبحث عن 8 - 10 صفحات، بما يقارب (3000) كلمة
3. كتابة نصوص الآيات من المصحف الرقمي مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكلة، وصحيحة.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أو الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.org - israa@darifta.org